فتحي الابياري

قصص منسية



المشهرة برقم٥٤٣/١٩٧٤

مطبوعات نادي القصة بالإسكندرية

المراسلات : الإسكندرية : ٥طريق الجيش - الإبراهيمية - ت ٥٩٢٣٠٤٥
القاهـــرة : ١١١٩كورنيش النيل ت ٥٧٤٢٦١٥



المشهرة برقم٥٤٣/ ١٩٧٤



حكاية قصص منسية

** بالصدفة .. وبعد مرور السنوات .. وعندما استلمت بأمر المحكمة كل ما أمتلكه من كتبي وأوراقي في مكتبتي التي حاول المغول اغتيالي من أجل الاستيلاء على شقتي بجليم ـ وقد فوضت أمري إلي الله ، وحسبي الله ونعم الوكيل.

بدأت في ترتيب أوراقي .. وكتبي .. اكتشفت مجموعة من القصص التي نسيتها وأنا أكافح أمواج الحياة ، كتبتها عندما كنت طالبا في الثانوية العامة .. وقد نشرت بعضها في كتب صغيرة للطلبة ، ونشرت بعضها في المجلات التي أصدرتها مثل (صوت العباسية) و (صوت الطلبة) و (العدد الخاص بالطلبة الشهداء في مأساة فلسطين ، ثم وأنا طالب في الجامعة عندما كونت (رابطة الشباب الجامعي للأدب والفن) وأصدرنا مجلة (الفجر الجديد) ومجلة (الأسرة) التي كانت تصدرها أسرة اللغة العربية بآداب الإسكندرية ثم مجلة (كلية الآداب بالإسكندرية) ثم مجلة (المنار) التي كانت تصدر في شباب الجامعات الثاني ، وفازت جامعة الإسكندرية بكأس الجامعات (١٩٥٦) أول وآخر مرة .. ثم القصص الفائزة في مجلة

الشبان المسلمين ثم (عالم القصة) وعثرت أيضا على مخطوطات لقصص نسيت نشرها .. في مجموعاتي القصصية المختلفة .. حتى في مجلدات (الأعمال الكاملة) .

وتوقفت .. هل أنشرها .. أم أنها كانت محاولات بدائية .. في أيام الزمن الخالي ، ولكن تذكرت وأنا أعد دراساتي النقدية عن رائد القصة العربية محمود تيمور .. في كتابي (محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية) لقد عثرت على قصص لتيمور .. لا تمت لفن القصة .. وقد نشرت هذه القصص مع القصص التي تطورت في إبداعه .. لأثبت أن الإصرار .. واستمرار المحاولات القصصية جعلت منه في النهاية رائدا لفن القصة ، وبعد أن قدم للمكتبة العربية أكثر من ثلاثين مجموعة قصصية .. وكذلك سبع روايات ، ودراسات في الفن القصصي .. وغيرها .

وعدت إلي قصصي المنسية ، فوجدت فيها روح الشباب ، وقضايا العصر ، ومشاكل الشباب .. وقضايا مصر .. ابتداء من ضياع فلسطين .. وسقوط شباب الطلبة والجامعات شهداء في أرض المعركة لصد العدوان الصهيوني على فلسطين ، ثم على مصر .. وكيف كان الشباب في ذلك الوقت كتلة من المشاعر الوطنية ، والفدائية من أجل مصر ، حتى نالت استقلالها بدماء الشباب .. وطرد الإنجليز من الأرض الطاهرة مصر ..

وجدت في تلك المحاولات الأولي الإبداعية القصصية جهدا يستحق التسجيل والنشر في كتاب .. لعل النقاد يبحثون فيها لمعرفة المنابع والأسلوب ، والصور والمضمون . والشكل الفني الذي كنت أمارسه في الكتابة من خمسين عاماً .

وجدت في بعض القصص المنسية ، أحاسيس ومشاعر ، افتقدها شبابنا الآن .. من التضحية ، والوفاء ، والأصالة ، والرجولة ، والانتماء لمصر .. وحب مصر والإيمان .. وحب الآخرين ..

إن (قصص منسية) ربما تكون حلقة من حلقات إبداعي القصصي، تلقي الأضواء على مسيرتي القصصية طوال نصف قرن ، قد تفيد النقاد وربما يجد القراء فيها شيئا من المتعة ، وربما يجد فيها كتاب القصة الشبان دافعا إلي أن يواصلوا طريق الإبداع .. مهما كانت المحاولات الأولي بدائية لأن محراب الفن .. يحتاج دائما إلي الاستمرار في الإبداع والقراءة المتواصلة لرواد الفن القصصي في العالم .

فتحي الابياري

كلمة صغيرة

أغلقت الباب خلفي . وبدأت أهبط سلم منزلي .. لا .. إنني لا أريد الهبوط .. إنني أريد الصعود إلي السماء .. إلي السحاب .. إلي قمم الأشجار . لا أحد من أخوتي يريد أن يوصلني إلي محطة (البولمان الصحراوي) .. كل واحد منهم تائه في دائرة نفسه .. وأنا أحس بالوحدة القاتلة .. وقلبي يعصره الحزن على وفاة أمي .. ووالدي أيضا .. خلال عام .

قلبي يثب على درجات السلم . أخشى أن يفوتني (البولمان الصحراوي) فالساعة الآن الثالثة والربع .. وموعد التحرك من ميدان التحرير الرابعة بعد الظهر .. وأنا بعيدة عن الميدان بما يقرب من نصف ساعة .

واقفة أنا في الشارع أبحث عن تاكسي ، القلق يستبد بي .. أري عقارب الساعة تتسابق بسرعة .. وما زلت واقفة .. إنني على موعد مع نفسي .. عندما أجلس في الكرسي بجوار الشباك .. سأجلس لوحدي طوال رحلة الثلاث ساعات .. في الطريق الصحراوي .. الذي أحببته دوما .. الطريق الممتد من القاهرة إلي الإسكندرية .. حيث أجد الراحة .. والسلوى بين الفضاء الواسع الممتد .. كم اشتاقت نفسي لهذه الرحلة منذ أكثر من سنتين حيث لم أذهب إلي الثغر طوال تلك الأيام .. لمرض والدتي ..

كانت ظروف والدتي الصحية في ذلك الوقت تمنعني من القيام بهذه الرحلة التي كنت أحس فيها بعودة الصفاء إلي روحي . والسكينة إلي نفسي ، طالما أحسست

باحتياجي لتلك الوحدة النفسية التي استشعرها من خلال وحدتي في هذه الطريق . لذلك كنت أمني النفس طوال الطريق بجلوسي في مقعدي بجوار النافذة ، حتى أنظر إلي السماء بحريتي ، أشكو لها ، وتسمعني .. أروي لها أحداثي كلها ، وأريح صدري .. لذلك لم أكن أعر من يجلس إلي جواري دائما أي اهتمام ، حتى لا يسلبني تلك المتعة الوجدانية التي أشعر بها .. وأخيرا وصلت إلي محطة (البولمان) في التحرير .. وكان على وشك التحرك .. فقد كانت الساعة الرابعة إلا خمس دقائق

ورأيت الذي يجلس إلي جواري .. إنه يتكلم كثيرا مع السائق ، إنه في حوالي العقد الثالث على ما أظن .. ليكن .. يارب يستسلم للنوم بمجرد أن يتحرك الأتوبيس ، ولا شك أنه لن يحتمل الطريق مستيقظا .. سأصبر على موعدي النفسي حتى ينام أو يسأم الحديث مع أحد .

وصعدت إلي (البولمان) لأصل إلي مقعدي رقم ٤، وكان هو يجلس في المقعد رقم ٣ ولذلك كان عليه أن يقوم ، لكي أصل إلي مكاني .. وقام .. وأدخلني .. نعم .. أدخلني إلي عالمه .. ودنياه ..

جعلني أنسى ما تمنيته طوال الطريق حتى وصلت إلي مقعدي .. كانت البداية كلمة صغيرة عن المجلة التي بيدي .. وكبرت الكلمة .. حتى صارت أبنة ثلاث ساعات !!

ثلاث ساعات متواصلة .. لم أشعر خلالها لا بالطريق .. ولا بالناس .. ولا بما تمنيت الوصول إليه .. طوال الفترة الماضية .. نسيت ماذا كنت أريد قوله ، وعشت معه .. في مرضه .. في منزله .. في عمله .. فيه كانسان أنساني نفسي وأحاسيسي

ومشاكلي .. وشعرت بالتعاطف معه .. أحسست أني أعرفه منذ زمن طويل .. زمن لا يقاس بتقديراتنا .. زمن لم أعلمه من قبل !!

تمنيت أن يطول بنا الطريق إلي مالا نهاية .. فنهاية الطريق أفاقة لي من أحاسيسي .. كان للطريق .. والحديث .. وأنغام كلمات (قصة حبي) لأم كلثوم التي تنساب من جهاز تسجيل السيارة (.. تحكي ميلاد شئ لا أعرفه .. شئ لم آلفه من قبل .

رب .. ما هذا الذي يحدث .. لماذا أشعر بتلك الراحة إلي جواره .. لماذا أتمني أن يطول الطريق .. لماذا .. لماذا .. لماذا ؟ أتستطيع أنت الإجابة .. نعم .. إني أتوجه إليك أنت .. إلي وجدانك الذي أسرني .. إلي مشاعري التي ألفتك .. أكاد أقرأ أمامي في صفحة الغيب .. أني سألجأ إليك .. لجوء تائه في الصحراء وجدت الواحة الوارفة .. ربما تكون سرابا .. ليكن .. ليكن .. يكفيني لحظات بين الحقيقة والأوهام .

•••

مكدود أنا من كثرة الترحال بين العاصمة والثغر ، وكأنني (مكوك) مسلوب الإرادة .. وكانت الرحلة القصيرة في كل مرة ، تتيح إلي الفرصة لكي أغوص في بحر أعماقي ، أبحث عن نفسي القابعة في الأعماق .. وكنت أختار الكرسي رقم ٣ لكي تسبح نظراتي عبر فضاء الصحراء الواسعة ، عبر الزجاج الأمامي (للسيارة) .. فأحس كأنني أسبح بمفردي استكشف مجاهل نفسي ، وعندما وصل (البولمان) إلي ميدان التحرير كنت أحث السائق ، بالسير فورا ، إذ حان الوقت المحدد لقيامه .. ولم أدر أن في انتظاره تلك الدقائق .. كان ميلاد كائن غريب كان قلبي يهفو إليه ، طوال سنوات العمر .

كنت في تلك اللحظة ، ساخرا من لعبة الحياة المملة ، المعروفة ، وكانت قسمات وجهي توحي لمن يراني أنني كهل ، يتقمص هيكل شاب .. فلا شئ في هذه اللعبة مثير له انجذاب ، فكل شئ حولنا .. مجهول الهدف .. حتى أعماقنا .. وبحارها نحاول أن تغوص فيها لنستكشف أسرارها .

وقبل أن يغلق سائق (البولمان) باب السيارة ، استعدادا لبدء الرحلة ، جاءت فتاة ترتدي ثوبا أسود .. وقد بدا عليها أنها تلهث لكي تلحق بالسيارة في آخر وقت وصعدت وأعطت تذكرتها للسائق ، الذي أشار إلي مقعدها .. أنه بجواري . كانت محاطة بإشعاع راداري غريب .. استقبلته .. إشعاعاتي بتلقائية ، واستجبت لإشعاعاتها .. ووقفت لكي أفسح لها المكان لكي تصل إلي لحظة .. لن تنسى .. لاهي ولا أنا فقد التقت عيناي بعينيها العجيبتين ،وغصت داخلها .. ولم أشعر إلا وأنها تغوص معي .. فوق أمواج كلمتنا .. تلك المنطقة المجهولة المليئة بأسرار إله العاشقين .. داخل أعماقنا .

عيناها التي يشع منها العطاء .. ولون الخضرة الربيعية توحي بربيع حياة أخري كنت أحلم بها ، لولا الساقية التي أدور فيها مشدودا كالثور ، حاملا أيضا أثقالا .. وأثقالا .. وعندما تحتضن عيناي ثغرها .. وهو يشدني معها بأمواج الكلمات التي سحبتنا بعيدا .. بعيدا عن واقع المقعد الذي يلصقنا .. إلي أن وصلنا معا إلي جزيرة في أعماق بحر الأسرار ووجدتني مدفوعا بسحر شعاع عينيها .. إلي أن أجذبها إلي بحر أعماقي .. عاريا من كل رداء مزيف .. وكانت كلما تكشف راوية ضاحكة من أعماقي كانت ابتسامتها تكشف عن ثغرها الدقيق الجميل ، وترسم على قسمات وجهها .. ألوان الفرح .. فتزداد سحراً .

وكانت من لحظة إلي أخري .. أثناء سباحتنا معا .. فوق أمواج كلماتنا .. تجذبني إلي قاع بحرها الخفي . فيروعني ذلك الجمال من الصفاء .. والنقاء .. لولا خيوط الحزن السوداء التي تحيط باللؤلؤة الناصعة البياض .

وأحسست بقوة عارمة ، بعد أن امتزجت أنفاسنا .. وأعيننا .. بأن أقوم بتمزيق خيوط الحزن السوداء التي تحجب جمال اللؤلؤة .. وجذبتها .. وجذبتها .. فوق أمواج كلماتي إلي أعماق بحر الأسرار .. ووجدنا أنفسنا قد دخلنا إلي شباك الفناء في الواحد .. أصبحنا روحا واحدة .. قلبا واحدا .. بعد أن نقلتنا .. كلمة صغيرة .. كبرت .. وصارت فوق أمواج كلمتنا .. ابنة ثلاث ساعات .. إلي عالم خفي أبدي لا يفهم رموزه حيوانات عالم الأرض .. وأحسست أنها توأمي الذي لن أعيش بدونه طالما ينبض قلبي .. ووصلنا إلي النهاية التي كانت البداية .

* "نشرت في (عالم القصة) العدد الرابع ١٩٨٠م ص ٧٥،٧٧.

مغامرات فدائي

(الشهيد جواد حسني)

-الظلام يلف المكان من كل ناحية .. اختنقت الأصوات إلا من صوت ضئيل متقطع صادر من أحد المواقع .. الجو بارد .. السكون القاتل يخيم على تلك البقعة المظلمة .. تمر الدقائق ، ولا حركة هناك توحي بوجود حياة .. حتى القمر أخذ هدنة في تلك الليلة .

المكان اسمه أبو عجيلة ، في صحراء سيناء .. قبع فيه عدد قليل من جنود الجيش المصري .. إنهم ينتظرون الجرذان والفئران عندما تخرج من جحورها .. أعني أنهم ينتظرون اليهود .. قبع كل جندي في خندقه ، واحتضن سلاحه ، ويده على الزناد .. كل جندي كان متشوقا ليري وجه أي يهودي ، ليداعبه برصاص سلاحه ..

طال الانتظار ، والجنود المصريون ما زالوا في أماكنهم ، يبتهلون إلي الله ، كي يزيد الشجاعة في قلوب اليهود الجبناء .. حتى يظهروا ويشتبكوا في معركة .. ولكن لم يحدث شئ من هذا .

في هذا السكون ، والظلام المخيف ، والرهبة المنتشرة فوق المكان همس الجاويش محمد في أذن قائده الملازم جواد حسني قائلاً :

- حضرة الضابط .. اليهود .. اليهود ما زالوا خائفين .. إننا في انتظارهم منذ ثلاثة أيام .. ولم يظهر أي جبان منهم .

فقال الملازم جواد : انتظر .. حتى تتلاشى الرعشة من أرجلهم .. سنهاجمهم نحن في الليلة القادمة إن شاء الله .

وحاول الجاويش أن يصيح من شدة الفرحة ، ولكن الملازم جواد منعه من ذلك خشية أن يشعر الأعداء بمكانهم .. وقال : الفرحة الكبرى يا شاويش محمد عندما ندخل سوريا .. تل أبيب غدا .. ونطهر الوطن العربي من هذه الفئران .

فقال الجاويش محمد : إن شاء الله يا حضرة الضابط سنلتقي غدا في تل أبيب .. وقال بقية جنود الموقع في صوت خافت : (ونحن معك يا حضرة الضابط .. غدا .. إلي تل أبيب إن شاء الله .. إن شاء الله .

انقطعت الهمسات .. وساد السكون الرهيب مرة أخرى ، وكانت عيون الجنود المصريين متيقظة تنظر في الظلام الحالك ، لعل هناك جنديا يهوديا تغريه الشجاعة فحاول أن يهاجم المصريين ولو مرة في العمر ، ولكن خاب ظن الجنود المصريين ولم يروا أي شبح ليهودي ..

خيوط الفجر بدأت تظهر في الأفق ، وهذا معناه أن الصبح قد اقترب ، وأن اليهود ما زالوا يجمعون أشتات شجاعتهم المبعثرة في كل مكان .

واقترب من موقع جواد شبح ، وسرعان ما صاح الجاويش محمد من هناك ؟ .. فأجاب الشبح : نصر ..

وكانت هذه هي كلمة السر التي اتفق عليها أفراد موقع (أبو عجيلة) وخاطب الشبح الملازم جواد : أذهب إلي محل القيادة .. إن القائد يريدك

اجتمع ضباط موقع أبو عجيلة ، مع قائدهم ، لم يعرفوا سبب هذا الاجتماع المفاجئ .. وأخيرا قال القائد لهم : جاءتنا الأوامر من القاهرة بالانسحاب فورا من الموقع ..

ارتسمت الدهشة على قسمات الضباط ، نظر كل منهم إلي الآخر في استغراب صاح الملازم جواد قائلاً : ولكن يا سيدي القائد .. إننا منتصرون ، إننا سنهجم الليلة على اليهود .. وغدا سنتقدم إلي تل أبيب .. لماذا ننسحب ؟ .. لماذا ننسحب؟ ..

فقال القائد : إنها أوامر عليا .. ثم إن الإنجليز والفرنسيين قد دخلا الحرب .. وظهر أن خطتهم ترمي إلي محاصرة الجيش المصري في صحراء سيناء .. وقطع طريق العودة عليه ، يجب أن تنسحب القوة في هذه الليلة بسرعة .

صاح جواد : سيدي القائد .. إنني لن أترك الموقع .. سأكون مع الفرقة الانتحارية التي تستر عملية الانسحاب ..

فقال القائد : إن الله معك يا جواد .. أنت وبقية أفراد الفرقة الانتحارية .. إن الله معك .. اقتلوا اليهود وعلموهم فن القتال .. إنها فرصة نادرة .. ليتني معكم .. ليتني كنت بجانبكم .

بدأت الفرقة تنسحب ، ظل جواد وبعض الفدائيين في أماكنهم يسترون عملية الانسحاب .. اقترب المساء .. السكون والرهبة والظلام أخذت تنتشر في المكان بسرعة ، جواد حسني ، ومعه مائة فدائي ينتظرون أي هجوم مفاجئ .

وفجأة ، سمع جواد أزيز طائرات . لم يكد يسأل الجاويش محمد حتى سمع أفراد الموقع صفير القنابل التي تتهاوي بجوارهم من كل جانب . أخذت الطائرات تقذفهم بمئات القنابل . ولكن جواد أمر فرقته بعدم إطلاق المدافع على الطائرات في هذا الوقت .. اغتاظ الجنود . فصاح الجاويش محمد : يا حضرة الضابط .. أنهم يضربوننا بالقنابل .. وهل نسكت ؟ فقال جواد : نفذ الأوامر يا شاويش ..

سكت الجاويش محمد وهو متألم . وفجأة سطعت الأنوار في السماء وأخذت الطائرات تحوم فوق المكان هنا وهناك . حتى ظننت أنها أخطأت الموقع فأسقطت المصابيح الكاشفة لتنير المكان .. فظهرت الطائرات بوضوح أمام أعين فرقة جواد . صرخ جواد فجأة : اضرب .. اضرب بسرعة ..

فرح الجاويش محمد وبقية أعضاء الفرقة ، فتحوا نيرانهم الحامية على الطائرات القريبة .. وفى لمح البصر ، اشتعلت النيران في تسع طائرات بدأت تهوي إلي الأرض وهي مشتعلة . ازدادت نيران فرقة جواد قوة . وقسوة .. وأجبرت بقية الطائرات على الفرار .

ضحك أفراد الموقع ، صاح الجاويش محمد : (عاش القائد جواد) فردد بقية الجنود هذا النداء .. لم يحسبوا أن جواد قد أعد هذه المغامرة الجنونية لمواجهة هجوم الطائرات المفاجئ ، فقال الجاويش محمد :

- يا حضرة الضابط .. لقد أنقذتنا .. وأنقذت فرقتنا المنسحبة .. بهذه الخطة ..

فابتسم جواد وهو يمسح العرق المتصبب على وجهه وقال :

- أي خطة تقصد .. أنها بسيطة .. إذا أطلقنا مدافعنا في أول الأمر لعرفوا أين نحن . وكم عدد مدافعنا . ولكنهم عندما أسقطوا مصابيحهم الكاشفة .. ليعرفوا أماكننا كشفناهم نحن ، واستطعنا أن نسقط هذا العدد من طائراتهم ..

قال الجاويش محمد : ولكن يا حضرة الضابط .. هل لاحظت علامة الطائرات أنها ليست إسرائيلية .. أنها ..

فقال جواد : أظن أنها فرنسية .. إن فرنسا وإنجلترا دخلتا الحرب إنها مؤامرة

قال الجاويش : إن الله معنا .. يا حضرة الضابط ولو دخلت معهم الشياطين .. ربنا معنا ..

وقطع حديثهما صوت القنابل التي بدأت تنهال عليهم من المدافع الثقيلة وعادت الطائرات مرة أخرى .. صاح جواد في أفراد الفرقة :

- إنها طائرات فرنسية .. نريد أن نعلم فرنسا درسا لا تنساه يا أبطال مصر. أنها فرصة لننتقم لإخواننا الجزائريين .. اجعلوا كل طلقة بطائرة .. اضربوا بقوة .. أنها فرصة للانتقام .

انطلقت القذائف من مدافع فرقة جواد في سرعة . ومرة أخري بدأت تسقط الواحدة تلو الأخرى .. اقترب أحد الجنود من جواد ، وقال له :

- سيدي القائد .. إن الملازم فكري يقول لك أن بعض المصفحات اليهودية .. تهاجم الموقع من الناحية الغربية ..

أسرع جواد وسط القنابل المتساقطة إلي موقع زميله فكري فوجد مجموعة كبيرة من المصفحات الإسرائيلية تتقدم في بطء نحو موقعهم . قال لزميله فكرى :

- هل تعتقد أن اليهود قد اكتشفوا عملية الانسحاب ..

فقال فكري : لا أظن أنهم قد اكتشفوا ذلك الآن .. قال جواد : كيف ؟

فقال فكري : لأن مصفحاتهم ترتعش وهي تتقدم .. وضحك الاثنان وقال جواد :

- اسمع يا فكرى : عندما تقترب المصفحة الأولي من هذا المنحني الضيق .. فأطلق عليها القنابل حتى تتعطل .. وسأطلق قنابل مدفعي على المصفحة الأخيرة .. فصاح زميله : فكرة رائعة .. وعندئذ نحصر بقية المصفحات في الوسط .. قال جواد : وعندئذ يا بطل نتسلي بنسفها

عاد جواد إلي موقعه وسط الرصاص المتطاير حول رأسه ، والقنابل المتفجرة بجانبه .. أمر مجموعة من جنوده بمناوشة الطائرات بالمدافع ، وجعل بقية الفرقة تسكن في أماكنها لتنتظر هجوم اليهود وتنسف المصفحات اليهودية ..

اقترب أحد الجنود من جواد وقال له : سيدي القائد .. وصلت إشارة من قيادة الفرقة .. تقول : وصلنا سالمين .. شكرا عليكم الانسحاب فورا .

فابتسم جواد وقال : الحمد لله .. الحمد لله ، لقد قمنا بواجبنا ..وانسحبت الفرقة .. وصاح : والآن يا شاويش محمد ؟

فقال الجاويش : نعم يا حضرة الضابط

فقال جواد : والآن يا شاويش محمد .. سأعزمك على العشاء في القنطرة هذه الليلة !!

قال الجاويش مستغربا : ماذا تقول يا حضرة الضابط هل تسخر مني .. قال جواد : أبدا يا شاويش محمد .. علينا أن ننسف هذه الفرقة اليهودية التي أمامنا الآن .. وكل مصفحة تنسفها يا شاويش محمد سأعطيك بدلها فرخة ..

وضحك الجاويش محمد وقال : سنعلم اليهود يا حضرة الضابط كيف يأكلون علقة ساخنة .. يا نبي .. يا قوة الله ..

اقتربت المصفحة اليهودية من المنحنى ، فصاح الملازم فكرى في جنوده (اضربوا) وانفتحت نيران جهنم من مدافع الفرقة ، فالتوت المصفحة الأولي واشتعلت بسرعة وحاول الجرذان اليهود أن يخرجوا منها ، فصوب جنود جواد نيران مدافعهم الرشاشة نحوهم ، فقتلوهم .. وصاح جواد في الجاويش محمد : اضرب يا شاويش محمد .. المصفحة الأخيرة ، وصرخ الشاويش محمد : يا قوة الله .. يا نبي وأطلق نيرانه ، فالتوت المصفحة الأخيرة واحترقت

تعطلت بقية المصفحات اليهودية ، وانفتحت نيران مدافع فرقة جواد تحصد المصفحات ومن فيها حصدا .. وعندما رأي الجرذان اليهود مصفحاتهم وهي ترقص على ألسنة النيران ، ألقوا بسلاحهم على الأرض وأخذوا يتسابقون في الهرب .. أمر جواد فرقته بأن يصوبوا نيران مدافع الهاون إلي الهاربين ، فحصدتهم بأقصى سرعة .

رأت الطائرات الفرنسية تلك الهزيمة لليهود فجن جنونها ، وأخذت تلقي القنابل على مواقع فرقة جواد بدون حساب .. صاح جواد : صوبوا نيرانكم إلي الطائرات .. وأسرع إلي مدفع قريب منه ، أصيب جنوده ببعض الشظايا وأخذ يطلق قذائفه على الطائرات الفرنسية بشدة وقسوة وعنف .

شعر جواد بألم شديد في ذراعه اليسرى .. تدفق الدم بعنف .. لقد أصيب بشظية أسرع إليه الجاويش محمد ، ليضمد جراحه .. صرخ فيه جواد : مكانك يا شاويش محمد .. اضرب في الطائرات .

فقال الجاويش : ولكنك مجروح يا حضرة الضابط

قال جواد : قلت لك مكانك .. لا شأن لك بي .. نفذ الأوامر اضرب في الطائرات

لم تستطع الطائرات الفرنسية أن تتحمل ضرب الفدائيين المصريين .. كانت تظن أنها سترقص في الهواء على نغمات أصوات المدافع .. ولكن فرقة جواد جعلت الطائرات ترقص على أحدث نغمات المدافع المصرية وبعد كل دقيقة ، كانت تسقط طائرة لأنها لم تتعود على هذه الموسيقي الغريبة العجيبة ولاذت بقية الطائرات بالفرار ، خوفا من السقوط .

صاح الجاويش محمد : هربوا يا حضرة الضابط .. هربوا كعادتهم دائما .. أسرع الجاويش محمد إلي جواد ، وضمد له جرحه . وقال جواد : الحمد لله لقد انتصرنا عليهم .. الحمد لله .. والآن تستعد الفرقة للانسحاب لتشترك في معركة القنال .

واستطاعت الفرقة أن تنسحب بعد أن قتلت كثيرا من اليهود ، وأسقطت عشرات الطائرات الفرنسية ، وأحرقت المصفحات الإسرائيلية ثم انضمت إلي كتيبتها في القنطرة الشرقية .

استقبلت الفرقة بالهتاف لأنها أنقذت مؤخرة الجيش أثناء الانسحاب طلب قائد قوات (القنطرة الشرقية) جواد .. فقال له :

ـ لقد أثبت شجاعة يا جواد أنت وإخوانك سيسجلها التاريخ الحربي .. لقد قمتم بأعمال بطولية مجيدة .

قال جواد : إننا لم نقم بشيء يا سيدي القائد .. إن البطولة التي أتمناها هي أن أدرك تل أبيب وأرمي اليهود في البحر .

قال القائد : سيتحقق حلمك قريبا جدا ، يا جواد ، سنختار الوقت الملائم لسحق اليهود .. إن اليوم قريب ..

ونظر القائد إلي جواد ، وقال : إنك مصاب ، سأعطيك أجازه سبعة أيام ..

قال جواد : سيدي القائد .. إنني لا أريد ساعة من هذه الإجازة إنني لن أترك أرض القناة ..

قال القائد : إنك مصاب ، وأظن أن أسرتك تريد أن تراك ، فاذهب إليهم وسيكون جرحك قد خف ، وإذ عادت إليك صحتك فأنت تعرف طريقك ..

•••

قال الأب مندهشا وهو يفتح باب منزله :

ـ جواد أبني ، أهلا وسهلا ، الحمد لله .. وعانق الأب أبنه ، وقال : كيف حالك يا ولدي

قال جواد : الحمد لله يا أبي ، الحمد لله ، أين أمي .. إنها بالداخل

احتفلت الأسرة بعودة جواد ، دخل حجرته فوجد كتب كليته أخذ يقلب فيها إنها كانت مستقبله ، كان بعد سنة واحدة سيصبح محاميا ، ولكن هذا العدوان هدد مصر ومستقبله أيضا .. لذلك أصر على أن ينتهز الفرصة ليساهم في سحق اليهود ..

مضي يومان ، وجواد بين أسرته يتابع أحداث المعركة . شعر بتحسن في صحته ولكن الإصابة ما زالت تؤلمه ، وفتح الراديو ليسمع آخر أنباء القتال ، فعرف أن القوات الفرنسية وصلت إلي الكيلو ٣٩في طريق الكاب شرقي القنال ، ومعني هذا أن الفرنسيين قد اقتربوا من موقع كتيبته في القنطرة .

وفجأة ترك جواد أسرته ، لم يعرفوا إلي أين سيذهب ، دخل على قائده قائلا :
- لقد وصلت يا سيدي القائد . إنني أريد أن استلم موقعي ..

قال القائد : ولكنك يا جواد ما زلت جريحا

- إنني لست جريحا يا سيدي القائد ، أرجوك ، اسمح لي أن أذهب إلي موقعي

أصر جواد على أن يذهب إلي موقعه ، وافق القائد أخيرا تحت إلحاح جواد فرح الجنود والجاويش محمد عندما رأوا ضابطهم ، قال جواد :

- ما الأخبار يا شاويش محمد

- إن الفرنسيين بجوارنا على مسافة قريبة ، إنهم عند الكيلو ٣٩طريق الكاب .. يجب أن نهاجم ..

- أمرك يا حضرة الضابط

فقال جواد بعد أن خطرت له فكرة جهنمية : لا تفكر فيما قلته ، سندبر لهم خطة ..

قال الجاويش محمد : ما هي ؟ .. قال جواد : لا تفكر فيما قلته .

وفجـأة اختفي جواد من المعسكر ، سأل عنه الجاويش محمد في كل مكان ولكنه لم يعـثر له عـلى أثـر ، كـان جـواد في ذلك الوقت مختبأ بعيدا عن معسكره ، كان مختـبأ بالقـرب مـن معسـكر القـوات الفرنسـية . ظـل يرقب ظهور الفرنسيين حتى ظهـرت أول دوريـة فرنسـية ، ظـل مختـبأ في مكانه حتى اقتربوا منه ، فتح نيران مدفعـه الرشـاش عليهم ، سقط كثير منهم قتلي . اختبأ بقية أفراد الدورية ، فتحوا نيران مدافعهم على المكان الذي به جواد .

كـان جـواد ينـتقل مـن مكـان إلي آخر وبأسرع وقت ، وهو يصوب إليهم نيران مدفعه الرشاش ، وجد أن بعض الفرنسيين يقتربون من موقعه ، أسرع وقذفهم بقنبلة يدويـة ، فطـارت أشلاؤهم في الهواء .. استمرت المعركة بينه بمفرده ، وبين الدورية الفرنسـية ، سـاعة كاملـة ، كان جواد يأخذ ذخيرة القتلى الفرنسيين ، وأسلحتهم ويحارب بها ، ولكنه شعر أن ذخيرته أوشكت على النفاذ .

بـدأ يفكـر سـريعا .. كـان معه ثلاث قنابل يدوية .. وقليل جدا من الرصاص .. الظـلام كـان مخـيما عـلى المكان .. الهدوء ساد جو المعركة . ارتمي الفرنسيون على الأرض ينـتظرون الهجوم المصري .. اختبأ جواد في موقعه يفكر في طريقة ليفني بقية أفراد الدورية .

وفجـأة سمـع صـوت ضـجة .. أرهـف سمعـه .. عرف أن هذا الصوت ، صوت الدبابـات . أحـس إن المعـركة أصـبحت غـير متكافئة .. لقد استنجد أفراد الدورية بقيادتهم .. أرسلت القيادة لهم مجموعة من الدبابات ، وثلاث فرق مسلحة .

خـرج جـواد مـن مخبـئه .. هجم على بقية أفراد الدورية ألقي عليهم قنبلتين .. حـاول أن يلقـي القنـبلة الثالـثة .. ولكـن الجرح القديم ازداد ألمه أحس جواد بقوته

تنهار .. اشتد الألم عليه .. شعر أن الدنيا تدور فقد توازنه .. وسقط على الأرض مغشياً عليه .

** عندما انفجرت القنبلتان اللتان ألقاهما جواد .. فتحت الدبابات نيرانها على الظلام .. تقدم الفرنسيون ببطء وخوف من مكان المعركة .. أخذوا يطلقون رصاصهم في كل اتجاه .. ولكن أحداً لم يرد عليهم ظنوا أنها خدعة .. تقدموا بحذر التفوا حول المكان هجموا فجأة .. أطلقوا رصاصهم في كل اتجاه . ولكنهم فوجئوا بأنهم كانوا يقاتلون الهواء .. بحثوا في كل مكان فلم يعثروا على شئ .

بدأ الصباح يرسل أضواءه على مكان المعركة .. بدأ الفرنسيون تفتيشهم من جديد وأخيرا عثروا على جواد حسني .. اقتربوا منه بحذر .. كانوا يعتقدون أنهم يحاربون فرقة مصرية كاملة .. اندهشوا عندما وجدوا جواد .. حملوه إلي مقر قيادتهم .. رآه الجنرال أندريه الفرنسي . والجنرال ستكويل الإنجليزي .. أصيبا بدهشة بالغة ، كانا يعتقدان أن المعركة تدور مع فرقة مصرية كاملة .

** في معتقل الأسرى بملعب كرة القدم ببور فؤاد .. كان جواد ملقي على الأرض في إحدى الزنزانات مقيدا .. وجلس أمامه على الكرسي الكولونيل بازان رئيس المخابرات .. يسأله : أين بقية الفرقة التي كانت تحارب معك ؟

فقال جواد ضاحكا : ابحث عن الفرقة بنفسك

نهـض الكولونـيل فجـأة .. اقـترب مـن جواد وغرس في وجهه سجارته المشتعلة فأطفأهـا .. لم يصرخ جواد ، ولم يتألم وإنما بصق على الأرض .. وقال للكولونيل : إنك جبان مثل الفأر .. تؤذيني وأنا مقيد ..

قال الكولونيل : أتهزأ بي .. اخلعوا أسنانه ..

هجم مجموعة من الجنود، وهو مقيد خلعوا معظم أسنانه لم يصرخ كما كان يظن الجبناء .. ولكنه ظل ساكنا .. يحبس ألمه ..

قال الكولونيل : قل لي .. كم كان عدد أفراد الفرقة ؟

قال جواد : لا أعرف ..

اقـترب أحد الجنود من أذن الكولونيل ، واخبره أن جواد .. كان هو كل الفرقة الـتي هاجمـتهم .. اسـتغرب الكولونيل .. استقر رأيه على أن ينتزع من جواد بعض المعلومات عن أسرار الجيش المصري قال له :

ـ كم كتيبة من جيشكم موجودة في القنال ؟

فقال جواد ساخرا : إنك مغفل يا قائد الفئران .. كيف تظن أن أبوح لك بأسرار الجيش .. اغتاظ الكولونيل .. صرخ في وجه جواد :

ـ هل تسخر مني .. أيها المجنون .. احرقوا أصابعه بالنار .. صاح جواد : لن تأخذ مني شيئا .. ولو تحولتَ إلي قرد .. لن تعرف مني أي شئ .

كاد الكولونيل يفقد عقله من شجاعة جواد النادرة .. حرق أصابعه أطفأ السجائر في جبهته ولكنه لم يتكلم .. صاح الكولونيل : سأجعلك تتكلم .. انزعوا الأربطة من فوق جراحه ..

أسرع الجنود ، ونزعوا الأربطة من فوق جراح جواد .. ولكنه مع ذلك لم يصرخ ولم يتألم .. بل كان يكتم ألمه ، حتى لا يفرح الفئران عندما يصرخ ..

عندما رأي الكولونيل شجاعة جواد . أخذ يرقص من شدة الغيظ كيف يحدث هذا .. إن الشاب جواد كالصخرة ، لا يريد أن يتزحزح عن رأيه .. لقد فشل الكولونيل في الحصول على أية معلومات من فم جواد ..

صرخ في وجه الجنود : أيها الكلاب .. ألا يمكنكم أن تنزعوا من فمه الأسرار مزقوا جلده بالسونكي .. بالخناجر .. لا تتركوه حتى يتكلم .. لا تتركوه .. إلا بعد أن تأخذوا المعلومات .. وإلا .. فسوف أحبسكم أنتم .. هجموا على جواد يمزقون جسده بالخناجر ، والسونكي .. سالت دماؤه ، واشتد الألم عليه ففقد وعيه .

وعندما أفاق وجد نفسه وحيدا في زنزانته ، غارقا في بركة من دمائه خطرت بباله فكرة .. غرس إصبعه في دمائه الساخنة ، وأخذ يكتب قصته بدمه ، على جدران الزنزانة .

جاء الكولونيل في اليوم التالي ، وعلامة الانتصار تشع من وجهه ، وقال لجواد:
- هل ما زالت شجاعتك موجودة ؟

قال جواد : طبعا أيها الفأر ..

بدت سحب الفشل تظهر على وجه الكولونيل .. قال : هل ما زلت مصرا على صمتك ؟ .. قل شيئا وسأطلق سراحك ولن يعرف أحد ما ستقوله .. سنعطيك ألف جنيه هدية بسيطة .. و .. ضحك جواد وقال هازئا : قلت لك كثيرا .. إنك مغفل فأر بدون أذن .. يجب أن تفهم أنني لن أتكلم .. أعرف هذا ..

صاح الكولونيل : هل ترفض اقتراحي إذن .. لن تأكل أو تشرب بعد الآن .. سنري قوة شجاعتك .. سنري ..

مرت الأيام وجواد لم يذق الطعام ، ولم يشرب الماء ، ازداد الألم عليه . شعر بضعف يسري في أنحاء جسمه .. كان يسرع في كتابة قصته على حائط الزنزانة بدمائه ..

وفي الصباح دخل الكولونيل بازان زنزانة جواد .. صاح فيه : انهض .. واذهب من هنا فأنت مطلق السراح .. لم يصدق جواد ما سمعه ، وحسب أن الكولونيل يهزأ به ، ولكن الكولونيل صاح : قلت لك .. اذهب من هنا فأنت مطلق السراح ..

فقال جواد : أنت تعرف أنني بفضل رعايتكم لي .. لا أستطيع السير .. انقلني في عربة إسعاف .. قال الكولونيل : إما أن تخرج وتمشي على قدميك أو تبقي هنا ظن جواد أن الحرب قد انتهت ، وأنه سيعود إلي فرقته .. فتحامل على نفسه .. وأخذ يزحف حتى وصل إلي باب الزنزانة ، ونهض على رجليه بصعوبة .. أخذ يجر قدميه . كانت جراحه تنزف الدماء .. ومع ذلك بدأ يسير ببطء .. ولم يكد يتقدم عدة خطوات حتى انطلقت على ظهره من الخلف مئات الطلقات من الفئران المذعورة .. سقط جواد على الأرض يتلوى .. صريعا ، وحر له بركة من الدماء ارتفعت الضحكات من فم الفأر السفاح .. وصاح في الجنود : هيا احملوا الجثة .. وألقوا بها في البحر .. سنعلن .. أننا رأيناه وهو يهرب فقتلناه .. أسرع الجنود ، وحملوه في لنش ووسط البحر .. اختفي جواد حسني بين الأمواج .. وظهرت على سطح الماء بقع كبيرة من دمائه .. حملتها أمواج البحر إلي الشاطئ .. لتخلد .. صورة جواد على رمال .. بور سعيد .

• *مغامرات فدائي كتبت في نوفمبر ١٩٥٩م •

سيف الإسلام

تواردت الأنباء من جبهة القتال في الشام . كلها تصور عدم توفيق المسلمين في خطتهم أمام جحافل الرومان . فقد مضت ثلاثة شهور . وجيش المسلمين قابع عند منحني نهر اليرموك بقيادة عبيدة بن الجراح ينظر إلي جيش الروم الرابض على الضفة الأخرى في حذر وخوف . أما جيوش (هرقل الأول) فهي تنظر إلي ضآلة جيش المسلمين في سخرية واستهتار إذ كان جيش المسلمين لا يزيد عدده عن العشرين ألفا . وجيش هرقل يبلغ مائتين وتسعين ألفا من صناديد المحاربين . ولم يمنعهم من القتال إلا أمر هرقل الذي آثر إن يري المسلمين وهم يأكلون بعضهم بعضا من شدة الجوع والبرد .

تجمعت هذه الأخبار السيئة عند أبي بكر ، فساءه ما سمع ، وشغل باله وأخذ يبحث الأمر مع الصحابة ، وطفق يفكر في وسيلة تمكن المسلمين من الظفر بجيوش الرومان . كما فعلت جيوش المسلمين بالفرس ، بقيادة خالد بن الوليد والمثني بن الحارثه الشيباني .. فصاح أبو بكر قائلاً بعد أن وجد الخلاصة من تلك النقمة :

ـ والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بسيف الله .. خالد بن الوليد وأعد رسولا إلي خالد ، وقال له : (إذا أتيت خالدا بعون الله ، فقل له أن خليفة الرسول ، يأمر بالسير حتى تأتي جموع المسلمين في اليرموك . فأنهم قد شجعوا وأشجوا ولا يدخلنك عجب ، فتخسر وتخذل ، وإياك أن تمن بعمل ، فإن الله له المن ، وهو ولي الجزاء) .

وطار الرسول حتى خالدا عند أطراف العراق ، فبلغه ما كلف به . فقال خالد : (هـذا عمل الاعسر بن أم شمله (أي عمر بن الخطاب) حسدني أن يكون فتح العراق عـلى يدي (فقال له المثني بن الحارثة أن سيف الله له الخلود ما دام يصول ويجول لنصرة الله) .

وهنا تذكر خالد ثأره القديم مع الرومان . ذلك الثأر الذي طوته السنون في طياتها ولكـن الأيـام أبـت إلا تذكـر خـالدا بثأره .. فعقد من فوره اجتماعا ضم خيرة قواده ليتباحث معهم في أي الطرق التي يجب إن يسلكوها حتى ينقذوا أخوتهم في محنتهم

وأخذ كل قائد يدلي برأيه ، هذا يعارض وذاك يؤيد . حتى تنبه أحد القواد إلي خالد فقال له (يا سيف الله .. إنك لم تتكلم منذ بدأنا المناقشة .. فما هو رأيك ؟) .. فقال خالد وهو سارح الطرف .. وهو أمر بسيط جدا على ما يبدو لي ..

فقال المثني : ما هو ؟

فقـال خـالد : لقـد قلبت جميع الأمور على مختلف أوجهها ، فكنت أري أنها تسـتغرق وقـتا طويـلا ، وربمـا وصـلنا إلـي أبـي عبيدة بعد فوات الأوان .. ولم أجد أمامي سوي إن تقطع بادية السماوة .. حتى نصل في أسرع وقت ممكن ..

فصـاح جميع القواد يعترضون على اقتراح خالد الذي ظل ساكنا ينظر إليهم دون إن ينـبس ببنت شفه .. حتى ساد الهدوء .. وأخيرا قال : إنني أعلم علم اليقين ما يحـف هذا الطريق من إخطار وأهوال ، ولكن إخواننا ينتظروننا على أحر من الجمر ، ولا بـد لـنا إن نسلك هذا الطريق مهما كلفنا من نصب وتعب وإن المسلم ينبغي له ألا يكـترث بشـيء يقع فيه مع معونة الله . وبعد أن أقنعهم بصواب رأيه ، قالوا : أنت يا خالد ، رجل قد جمع الله لك الخير .. فشأنك ! فقال : أحمد الله تعالي -

أن جمعنا على الصواب .. ثم وجه كلامه إلي المثني بن حارثة فقال : سأترك له قيادة جيش العراق ، فسر به إلي النصر والنصر أبدا .. أما أنا فسآخذ جزءا من الجيش حتى نعين إخواننا .. ونهض من فوره واصطحب قواده معه .

وصار هذا الخط الطويل من جيش المسلمين يخترق تلك الصحراء الرهيبة ، ويخط في صفحات التاريخ ، أروع مغامرة عرفها التاريخ الحربي حتى الآن ، وعلى رأس هذا الخط كان خالد بن الوليد الذي لم يلق بالا لذلك العرق المنهمر على صفحات وجهه ، ولتلك الحرارة الشديدة القاسية التي تكاد تذيب الجلود .

وعادت ذاكرته إلي الوراء تسترجع الصور الرهيبة التي عصفت بذهنه والتي أبت أن تنمحي إلا بالدماء الغزيرة .. وعادت ذاكرته إلي يوم إن التقي جيش المسلمين وعدده زهاء ثلاثة آلاف وعدد الروم مائتا ألف ، عادت ذاكرته إلي ذلك المكان الذي يقع شرقي البحر الميت من أرض البلقاء بالشام حيث دارت الموقعة .. وهو يذكر كيف رفع زيد بن حارثة قائد الجيش راية الرسول ﷺ واندفع المسلمون من ورائه يخترقون صفوف الروم ولكن الرماح تناوشته من كل جانب .. ومزقته حتى ما تبين معالم شلو من أشلائه .. وهو لا ينسي بطولة جعفر بن أبي طالب الذي تولي القيادة بعد زيد .. وانطلق يتناول راية الرسول قبل إن تسقط ، وقاتل في الطليعة ، فتجمع الأعداء حول فرسه يريدون أن ينالوه من فوقها فوثب إلي الأرض ، واقتحم الجحفل راجلا ، ورآه كيف كان يهد بناء ما يقابله ، وكيف كان يحارب بيساره واللواء مرفوع بيمينه حتى جاء له ضربه في هذه اليمن بترتها ، فالتفت يساره السيف وتناولت اللواء فجاءته ضربة بترت الشمال ، فانكب بعضديه يرفع راية نبيه ورسوله ﷺ حتى خارت قواه فسقط ميتا .. وعندما رأي عبد الله بن أبي رواحه وكانت له

القيادة بعد سابقيه ، يسرع ويأخذ اللواء انطلق هو إلي جواره ليحسى قائد الجيش ولكن جموع الأعداء تكاثرت على أبن أبي رواحه ونالته رماحهم . فسقط بدوره .. وأسرع خالد وأخذ اللواء قبل أن يسقط . وظل يجول ويصول حتى كسرت في يده سبعة أسياف ولم يثبت معه إلا سيف يماني حتى النهاية .

لما رأي الروم إصرار المسلمين على النصر بالرغم من قلتهم ، تقهقروا إلي أماكنهم ليعدوا الضربه الأخيرة .. أما المسلمون فقد تشاوروا فيمن يلي الأمر بعد الأمراء الذين صرعوا ، وهتف كل مشير باسمه فكأن هذا الاسم (خالد) .

هـو لم يـنس هـذه الـلحظة ، وكـيف ينسـاها ! إن دماء زيد وجعفر وابن رواحه تطالـبه بالـثأر ... وها هو الآن يتناول لواء المسلمين . فماذا عساه أن يفعل ؟ .. لقد قـام مـن فـوره وأعـاد القـوة المعـنوية إلي نفوس الجند . وجمع وحداتهم المنشقة .. وكـيف يـنس تلك الليلة الرهيبة التي ظلت عيناه فيهاساهرة . ورأسه يعمل إلي أن هداه الله لفكرة صائبة .

فـأيقظ معسـكره قبل الفجر في هدوء ، وأمر قوة من الجيش إن تنسحب إلي وراء الصفوف في خط طويل يمتد ما أمكنه الامتداد ، ووزع عليهم أبواقا . وأدوات حرب تحـدث ضـجيجا وأمرهم قائلا : حينما يبزغ الصباح ، اقرعوا طبولكم ، وانفخوا في أبواقكـم ، وسـوقوا خـيلكم في شـبه دوائر ضيقة في سرعة عاصفة تثير الغبار الكثيف وعلـيكم أن تطلقـوا من حناجركم أصواتا عالية . هي هذه التي تسمع إذا كان الظفر وشيك البلوغ .

ولـما أشـرقت الشـمس أقـبل الـروم مسـتعدين لوثبة أخيرة تقضي على هذا العناد الغريب الذي يقاتلون به المسلمون والذي ينال منهم كل منال وقبل أن يخطوا خطوة

لاحظوا أن هناك تحركات ينقذ بقية الجيش من الهلاك المحقق ألا هو النصر ، وقد ثار الغبار حتى ملأ الجو فوقعت في قلوبهم الرجفة وتأكدوا أن عدداً عظيما أقبل على هجوم عنيف من هذه القوي المتجددة الكثيفة ولكن الهجوم لم يبدأ فقد رأوا أن المسلمين يغيرون أماكنهم وينسحبون إلي أماكن مجهولة .. وبذلك استطاع خالد في هذه المحنة القاسية أن ينقذ بقية الجيش من الهلاك المحقق إن هو اشتبك في قتال وهو لا ينسي تلك الصيحات المستنكرة التي قوبل بها عندما عاد إلي المدينة فقد ظن الناس أن الجيش فر هاربا وجبن أمام العدو .. ولكن الرسول قال لهؤلاء الساخطين (ليسو بالفرار ، لكنهم الكرار إن شاء الله)

مرت هذه الذكريات في سرعة أمام عيني خالد وهو يخترق صحراء السماوة لملاقاة الروم مرة ثانية ، كأن الأقدار أرادت أن تحقق له أمنيته في الثأر فهاهي الفرصة قد واتته . وله أن يقتنصها .

وبعد أي جهد ، وتعب ، ونصب ، استطاع خالد بجيشه أن يجتاز البادية المهلكة ووصل إلي أبي عبيدة في الوقت المناسب . وأدرك المسلمون وهم يقاتلون الروم متساندين ، فرتب الجيش وجعل أبا عبيدة في القلب معه ، وعمر بن العاص في الميمنة ، ويزيد بن أبي سفيان على الميسرة وتقدم خالد إلي المعمعة ، يطير الهامات من فوق أجسادها في سرعة ومهارة حتى التقي بأحد قواد الروم ، فأنطلق إليه فأنجزه بطعنة قائلا : هذه من يزيد بن ثابت .. والتقي بقائد آخر فأورده حتفه صائحا فيه .. هذه من جعفر بن أبي طالب وظل يبحث عن قائد ثالث ولكنه لم يستطع ،ولاحت منه نظرة فرأي عبيدة مشتبكا مع أحد قواد الروم ، فأنطلق إليه وصاح به .. دعه لي يا أبي عبيدة ، فإنه من نصيب ابن أبي رواحه ، وطعن القائد

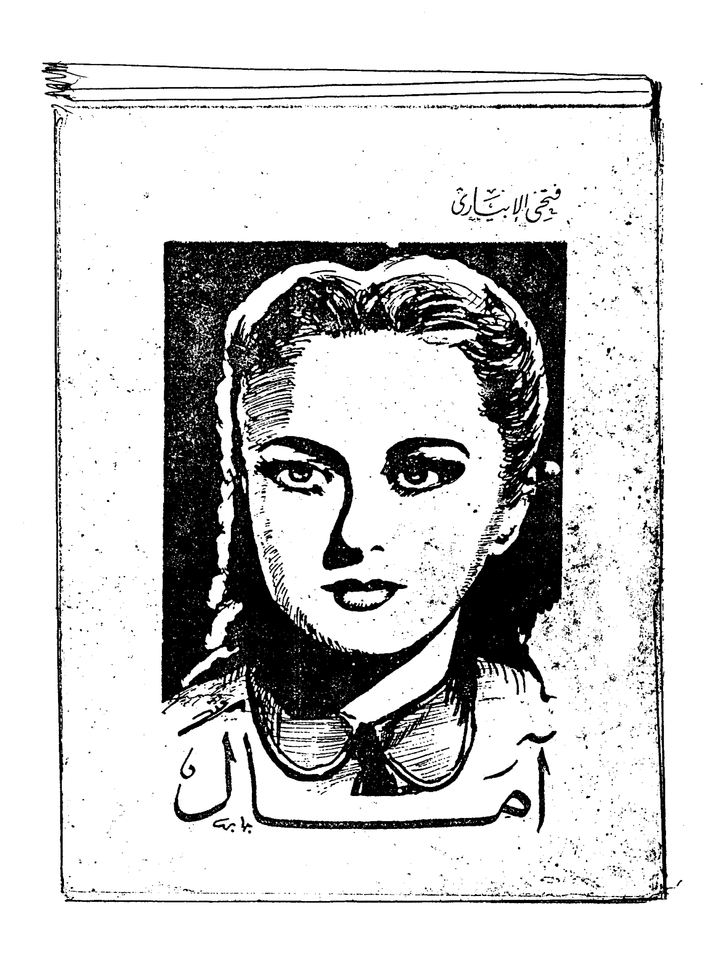
طعنة صرعته .. وانشرح قلب خالد لأنه حقق جزءا من الثأر ، ولكن الثأر الأكبر هو الانتصار الأخير .

وظل المسلمون في قتال مرير مع الروم كتب لهم النصر في أغلب المعارك . وفي تلك الأثناء تولى الخلافة عمر بن الخطاب بعد موت أبي بكر ، فعزل خالدا عن القيادة ، ولكنه لم يتمرد ، أو يعترض حرصا منه على وحدة المسلمين حتى ينصرفوا إلي جهاد العدو فقال : ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين .. وظل يحارب تحت إمرة عبيدة حتى انتصر المسلمون وكسروا شوكة الروم من تلك البلاد . وعادت الطمأنينة إلي قلب خالد ، بعد أن حقق ثأره ، الذي كان يقض مضجعه .

ومضت الأيام سراعا حتى استوفي القائد المظفر أجله وجاء يوم احتضار خالد بن الوليد .. فكان يبكي في لحظاته الأخيرة ويقول : لقد شهدت مائة زحف ، ما بقي في يدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، ثم أموت هكذا على فراشي كما يموت البعير !! ألا .. لا نامت أعين الجبناء .. ثم سكت قليلا ، والعيون من حوله باكية والأبصار زائغة ثم أستطرد قائلا : لقد طلبت القتل من مظانه ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي .. وأخيرا وجّه قوله إلي عمر بن الخطاب فقال : إليك سلاحي وفرسي ، فأجعله عدة في سبيل الله .

وكانت هذه هي آخر كلمات جاد بها خالد سيف الله . فبكي الباكون . وطفقت أمه تندبه فقال لها عمر : "لا تبكي يا أماه .. فإن سيف الإسلام .. خالد .. ما بقيت في الوجود حياة ". .

*فازت هذه القصة بالجائزة الأولى في مسابقة مجلة (الشبان المسلمين) ١٩٥٨


فتحي الإبياري
آمال

كلمة .. للأستاذ الدكتور عبد العزيز برهام

قرأت قصتك الطريفة التي أضفتها إلي قصصك السابقة ، فوجدت فيها مجهوداً تشكر عليه . وأكبر الظن أن ممارستك في المستقبل لهذا الفن القصصي سيجعلك تتغلب على ما بالأسلوب أحيانا من ضعف . وعلى ما بالوقائع من أشياء تحتاج إلي إيضاح أكثر .

لقد حملت على الفتاة حملة من غير ذنب ارتكبته ، وإذا كان صديقك قد تدله في حبها من غير أن تجيبه إلي هذا التدله أو تشجعه عليه ، فكيف تكون الملومة ؟ .. لقد انساق صديقك وراء عاطفة الشباب وحرارته ، وبني لنفسه قصورا في الهواء وتخيل ما شاء له التخيل ، حتى إذا امتلك الهوي عليه جميع حواسه ، وشغله عن عمله ، بدأ يفكر في الفرار منه . وإذا كانت الفتاة هي التي خلقت في نفسه حب التضحية والشعور بالوطنية ، فهذه محمدة لها لا ذم .ومن يدري لعله إنما ذهب للقتال ليخرج منه بطلا ترضي عنه (فتاة أحلامه) وكم من عظيم خلقته امرأة !..

ليس الاختلاط شرا كله ، والزمن كفيل بأن يهذب من أمره وإن كانت رقابته لا معدي عنها في أول أدواره ، ولا بد لكل نظام جديد من ضحايا . والطالبة الأريبة هي التي لا تستسلم لعواطفها ، والتى تضع في رأسها دائما أنها إن تخلت عن الخلق القويم فإن المجتمع لا يرحمها ، وأن (السمعة) كالزجاجة كسرها لا يشعب وأن الرجل لا يكون (ضحية) قط ، هذا هو حكم المجتمع رضيت به أو كرهت .. والعاقل من اتعظ بغيره .

عبد العزيز برهام

مقدمة

إن أقوي مقدمة توضع في صدر قصة أو في صدر كتاب .. هي .. العمل الفني نفسه . وهذا العمل الفني هو الصورة الصادقة التي تعبر عن نفسية القاص أو الكاتب وهذا العمل أيضا هو المخرج الأوحد الذي ينفذ من خلاله القاص إلي الحياة الصاخبة

وإنـي أشـكر أستاذي الدكتور عبد العزيز برهام على هذه الكلمة القيمة كما أعتقد أن الأستاذ الدكتور قد فتح باب النقد على مصراعيه بهذه الكلمة .. وإني أرحب بكل نقد يقوم على أسس سليمة ، وقواعد مدروسة ..

وأتعشم أن أكون عند حسن ظن أستاذي في المستقبل القريب إن شاء الله .. وأتمني من الله التوفيق في الغد القريب .

فتحي الأبياري

آمـــال

الفصل الأول

..هل كان خجولا ؟ أو كان حديث العهد بالحب ؟ أو أن الحب قد أسر فؤاده وخلب لبه ، وسلب عقله ، فلم يدر ماذا يفعل ؟ .. لم أكن أتصور أن الأمر سيودي بصديقي سامي إلي هذا المصير ..

نشأت العلاقة بيني وبينه ونحن في أواخر مرحلة الدراسة الثانوية ، ولو أنها لم تكن صداقة قوية .. إلا أن دخولنا الجامعة كان نقطة تحول في حياتنا ، فقد ترك كل منا تلك المرحلة بما قاسينا فيها من المشقة والتعب ، وربما كابدناه من الصعاب والآلام . وكنا ننظر إلي المستقبل بنظرات ملؤها الثقة والاطمئنان ، آملين الفوز في الحياة .. فها هي ذي الجامعة آخر مرحلة نودع فيها ذكرياتنا .. جميلة كانت أو محزنة . وتوطدت بيننا أواصر الصداقة ، وقويت العلاقة حتى كنا متلازمين في أغلب الأحيان ، فإذا توجهنا لتلقي المحاضرات جلس كل منا بجانب الآخر ، نرهف أسماعنا ، ونهيئ عقولنا لتلقي العلم . وكنا نخرج سويا بعد انتهاء اليوم الجامعي نسير الهوينا حتى نصل إلي منازلنا ولم يخل سيرنا نقاش أو حديث ، وأحيانا كان نقاشنا يصل حد العنف والتعصب ، فكان كل منا يتعصب لرأيه ويسوق الأدلة والبراهين ، ولكن الآخر لا يقتنع .. إلا أننا عندما كنا نقترب من منازلنا نتصافح في ود وصداقة . ويترك كل منا زميله ويعود إلي منزله وقد اختلطت في عقله

شـتى الموضـوعات والأفكـار ، وقـد امتزجـت المحاضـرات عـلى اخـتلاف أنواعهـا بأحاديثنا ومناقشاتنا .

كنت أترك صديقي وأتوجه إلي البيت أفكر في حديثنا و أحاول أن أجد البرهان القوي والحجـة السـاطعة ، فأذهب إلي حجرتي أنقب في مكتبي علني أجد برهانا عـلى صـحة ما أقول ، وكنت في أغلب الاحيان أجد دليلا ، فأتمنى لو أذهب إليه كي أناقشه في الأمر الذي كنا نتناقش أو نتحدث فيه .

اسـتيقظت صـباحا ، وأنهيت أموري ثم أديت لربي فريضته وخرجت من المنزل متوجها لكليتي . أحمل بين جنبي قلبا خافقا ينبض بالقوة والحياة .. وكان الوصول إلـي الكلـية يقتضـي أن أسـتقل (تراما) من منزلنا إلي (محطة الأتوبيس) ومن هناك اسـتقل (الأتوبـيس) إلـي الكلـية .. ولكني في الحقيقة كنت اركب الترام .. ثم أسير المـرحلة الثانـية أنظر إلي البحر وأمواجه الهادئة كأنها لم تستيقظ من نومها إلا منذ فـترة وجيزة ، فتسرع إلي الشاطئ تقبله قبلات الصباح .. وكنت بين الحين والآخر أري الصيادين ، وهم يجذبون شباكهم من البحر ، لا يعلمون بماذا ستأتي به الأقدار ؟ فهـم يتركـون أمرهم لمدبر الكون يصرفه كيف يشاء ، ولا يدرون هل سينالون غنما كـبيرا أو سـتعود شـباكهم خاوية .. ويصبرون بما يقسمه لهم القدر ، فإن كان قليلا أذعـنوا للأمـر وحمـدوا ربهـم عـلى مـا أعطـاهم ، وإن كان كثيرا شكروه على فضله وأكبروا نعمته .

كنت أسير بمحاذاة الشاطئ وأري هذا المنظر فيسرى عني بعض همومي وأشجاني إذا لم يكن يدفعني إلي السير إلا ضيق ذات اليد ، وكثرة مطالب الدراسة بالكلية من كتـب وأدوات ، وكنـت أرى زملائي وهم يركبون (الترام) متنعمين مترفهين فكانوا

يدعونني للركوب ، غير غني كنت أتهرب منهم قائلاً : لا داعي للركوب ليس هناك ألذ من السير في الصباح ، واستنشاق الهواء النقي ، ثم أن الوقت لا يزال مبكراً .

كان السير في الصيف ممتعا وجميلا حقا ، وكنت أجد فيه مسرة تلهيني عما أنا فيه . وكانت المناظر التي أشاهدها تسري عني إلا أن فترة الشتاء كانت أقسي مدة تحملتها .. فكان المطر يتساقط بغزارة والناس يهرعون إلي أي مكان يحتمون به .. وكنت الوحيد الذي اضطر إلي السير في هذا الجو الممطر العاصف ، فكنت أصل إلي الكلية مبلل الثياب ، يتساقط منها الماء . كانت أسناني تصطك وتعتريني رعشة تسرى من اعلي رأسي إلي أخمص قدمي . ولم يحز في نفسي ويؤلمني إلا تلك النظرات التي كانت تصوبها إلي الزميلات المنعمات اللاتي لم تصبهن رزازة واحدة .. وكان سامي يحجز لي مكانا بجانبه ، فكنت اهرع إلي المكان وقد فاتني نصف المحاضرة .. وما إن تنتهي المحاضرة حتى أتنفس الصعداء ، فاخلع بعض الملابس وأضعها فوق كرسي وأجلس مرتعش اليدين ، مصطك الأسنان منتظرا جفافها .

وكنا نجلس في نادي الكلية أثناء الفترة التي تتخلل المحاضرات وأحيانا نجلس في انتظار حلول موعد المحاضرة .. وفى هذه الأثناء كنا نتناقش في مسائل ومشاكل عدة ، غير أن صديقي أثار ذات مرة حديثا أخذ يدافع فيه عن رأيه بقوة وحرارة . ودار النقاش بيننا إلي أن قلت :

ـ لكن دعك من الاختلاط ومساوئه ، هل تريد أن نعود القهقرى إلي الوراء عشرات السنين من أجل خاطرك !؟

فأجاب متحفزا : - اسمع .. الأخلاق الآن في تدهور وانحلال فالشاب عندنا لم يكتمل نضجه بعد ، ولم يتزن عقله كي نجعله يختلط بالفتيات .. ألم تر تلك المناظر .. ؟

فقلت حانقا : - مناظر إيه يا أستاذ !؟ .. هل تريد اختلاطا بدون تجاوب الطرفين ؟ يجب أن يكون هناك زمالة وصداقة رابطهما العلم والاخوة الحقة .

فقال : - إنك لفي حلم .. يجب أن تنظر إلي الواقع .. هل هناك صحيح تجاوب كما تقول أنت ؟ أعني .. هل هناك علاقة بين زميل وزميلة رابطهما العلم ؟ كلا يا صديقي .

فقال مدافعا :- لماذا ..؟ هل أدلك على عدة زملاء وزميلات بينهم علاقات ود وصداقة رابطهما العلم والزمالة الحقة ؟

فاعتدل وتحفز قائلاً : - هذا نادر يا صديقي .. والنادر لا حكم له ، وإنه لمن الأحسن أن تشيد كلية خاصة بالطالبات وكلية أخرى للطلبة .

فقلت دهشا :- ماذا جرى يا صديقي .. !! إذن لم يكن هناك داع لتلك الثورة التي نشبت قبل دخول الطالبات الجامعة .. هل تريد أن ..

فقاطعني وقال ساخطا : - يا أخي لقد تقيدت حريتنا بوجود الطالبات ، ونحن لا نستطيع أن نفعل أشياء كثيرة أمامهن .. وهناك أيضا تبرجهن بالملابس المثيرة لشعور الشباب ، وزينتهن التي تجعل الشاب .. ولو كان شيخا متعبدا .. لا يعرف من أمره شيئا أثناء المحاضرات .

فقلت بهدوء :ـ هذا كلام ليس بحجة ساطعة .. إننا الآن نجلس في هذا النادي وليس به أية طالبة ، فافعل ما شئت دون أن تراك الطالبات .. وأما تبرجهن فالحقيقة إني أرافقك عليه .. ولكن يمكن إيجاد حل لهذا ..

قال : كيف ؟ .. هل تضع قانونا يمنع الطالبات من ارتداء الملابس ؟ .. يا أستاذ . الكلية هنا ليست إلا معرضا للأزياء .. لا غير ، ونحن المتفرجين .. وأخيرا نكون الراسبين وهن الناجحات .

قلت :ـ دعك من السخرية الآن .. نستطيع أن نوحد الزي ، ونفرض على الطالبة التزامه .. كما نفرضه على الطلبة أيضا كي لا يكون هنا تباه ولا تفاخر .. اعتقد أن هذا حل موفق .. ثم أن الاختلاط يثير الهمه والتحفز في نفس الطالب ..

قال :ـ لا يا صديقي .. أما الطالبة تحفز زميلها على الدرس فهذا غير صحيح كلية .. وكان الأجدر بك أن تقول أنها تلهيه عن الاستذكار .

قلت :ـ أراك لا تقتنع ؟ .. هل أساء الاختلاط إليك ؟

وهنا دق الجرس معلنا ابتداء المحاضرة ، فنهضنا متوجهين إلي الدرس على أن نعود إلي المناقشة مرة أخرى.

مرت الأيام بيننا سعيدة .. وكانت صداقتنا تزداد قوة ، وكان كل منا يحب للآخر السعادة والخير ، كانت صداقتنا اجمل من كل شيء .

ولكن الظروف والأقدار لا تترك المرء سعيدا دائما فهي لا تلبث أن تسلبه سعادته وهناءه .. فقد صدرت صحف الصباح ذات يوم وهي مجللة بالسواد على غير عادتها تعلن الحوادث المنكرة التي ارتكبها الإنجليز في القنال .. فمن انتهاك للأعراض إلي

سفك للدماء الطاهرة إلى خرق لقوانين الإنسانية والكرامة .. وعرفنا كيف أباحوا المحرمات ، ولم يتركوا أي شئ إلا وأحلو به الخراب والدمار .. حتى أصبحت السويس وبور سعيد مجزرة لهؤلاء الطغاة الآثمين . وهب أبناء القناة يدافعون عن كرامتهم وعزتهم ، ويذودون عن شرفهم وعرضهم .. ولكن أني لهم أن يقفوا طويلا أمام السلاح الرهيب ، وأمام العدة الكثيرة ، وقتل الأبرياء من أطفال ونساء . فشردت أسر وعائلات .. وهكذا فقدت الأم ابنها فثكلت ، وفقدت الزوجة زوجها فترملت ، وفقدت العذارى أعز ما تملك ، وأهدرت الدماء عبثا ، وغلي مرجل الوطنية في مصر .. وهب شبابها الوثاب يدافع عن كرامته .. وكانت الحكومة إذ ذاك متخلفة عن الشعور الوطني .. كانت تساير الأمور ببطء وفتور .. جعلا الشباب لا يركن إليها . فطفق يهاجر إلى ساحة الشرف حيث يصارع أعوان الاستعمار ويحطم أوكار الفساد ، مضحيا بدمه الطاهر الغالي .. وهدأت الأمور بعض الحين فعدنا إلى كلياتنا ، وقد فتحت أبوابها بعد أن كانت مغلقة احتجاجا لما حدث بأرض الوطن .. وامتنعا عن تلقي المحاضرات فأغلقت الجامعة أبوابها مرة أخرى .

وفي خلال تلك الفترة كنت أذهب إلي صديقي نتجاذب الحديث حول المشاكل والأمور التي تحيط بنا .. ولكن في إحدى المرات دهشت ، وتملكني العجب .. ولكني أخفيت شعوري وإحساسي تجاهه .. كنا جالسين في شرفه منزله مضطجعين على كراسي مريحة ، وإذا به يقول ناظرا إلي السماء : لقد كتبت وصفا لزميلة أعجبتني بالكلية تحت عنوان (الفتاة الكاملة) .

قلت ما هي يا تري ؟

قال : لا .. لن أذكرها لك .. ولكن اقرأ المقال وحاول أن تعرفها .

ـ لماذا أخترها هي بعينها ؟

ـ اقرأ أولا .. ثم أجيبك .

فنظرت إلي الورقة ثم قرأت .. فتاة هيفاء . يشع من سباها الطهر والعفة ، ذات بشرة رقيقة بيضاء ، أضاف إليها الفنان الأكبر حمرة أكسبتها جمالا وبهاء ، عيناها ذواتا سحر عجيب .. لو نظر إليها المرء غاب عن الوجود ، ونسي كل شئ حوله وبسمتها تشع في القلب بهجة ونشوة .. تحلت بكريم الخصال ، فبساطتها تكسبها أناقة ، وهندامها يضفي عليها جمالا .. تجلس هادئة أينما حلت ، زهرة بين زملائها .. وإذا ضحكت فلا تعرف للخلاعة موضعا ، فيكفيها أن تبتسم ابتسامة رقيقة ..

قلت : هل تقصد ..؟

قال : يا أخي .. اقرأ ثم أحدثك بعض ذلك ؟

وتابعت القراءة .. ما أجمل اسمها .. اسم له وقع جميل على السمع ، حبيب إلي القلب ، يشتاق إليه اللب ، ويهرع نحوه الفؤاد ..

وفتح باب الغرفة فجأة ، فوضعت الورقة في جيبي بسرعة وقد اعتراني الارتباك ، فعلي وجهي الاحمرار كما أحل بصديقي أيضا .. ونهض صديقي فنظرت إلي مرمي بصره .. ثم وقفت بدوري .. فرأيت والده واقفا بالباب .. ثم ما لبث أن تقدم نحونا .. وابتدرنا قائلا: ماذا تفعلان يا أولادي ؟ .. أراكما تلعبان ؟

فقلت : كلا يا عم .. لقد كنا نستريح من عناء الاستذكار ..

فقال بشدة : .. يجب أن تذاكرا حتى تبلغا ما تنشدانه

قلت : إن شاء الله يا عم .

وانصرف .. وقد تركنا نتنفس الصعداء .. وأخيرا قلت مستنكرا : ـ والدك قاس جدا .. هل يظننا أطفالا ؟

قال : أنت لا تعلم كم أعاني وأقاس من تعنته هذا وقسوته ..

قلت : إني لم أعرف إلي الآن .. وظيفة والدك ؟

قال مستغربا : ألا تعرف ..؟.. لقد ظننت انك تعلم .. إنه قاضي في المحاكم الشرعية .. والأدهي من ذلك أنه يحسب أن المنزل محكمة .. يأمر فننفذ أحكامه ، حتى أصبحت في ضيق شديد ، وكدت أترك المنزل ولا أعود إليه.

قلت : ماذا جرى لك يا بني ؟ إنه على كل حال يريد مصلحتك ولا يريد بك السوء ، ثم استطردت قائلا : ـ دعك الآن من هذا وهلم بنا إلي وصف (الفتاة الكاملة) .. لقد توقفنا عند هذا الحد .. ما أجمل اسمها .. اسم له وقع جميل على السمع ، حبيب إلي القلب يشتاق إليه اللب ، ويهرع نحوه الفؤاد .. به يعيش المرء في دنياه رغم الآلام والمشقات .. وعليه يبني الإنسان مستقبله .. فكم هو جميل حقا إنه .. الأمل ، ومشتقات الأمل .. فلكل إنسان أمل .. بل آمال ينشد تحقيقها .. ولكن عندما يشاء القدر ؟! .. أما هي .. فهي الأمل بعينه ..آمال .. وأمل .

قلت بعد تفكير : هل هي ..؟

قال : لا .. لقد قرأت المقال وعليك أن تجدها .

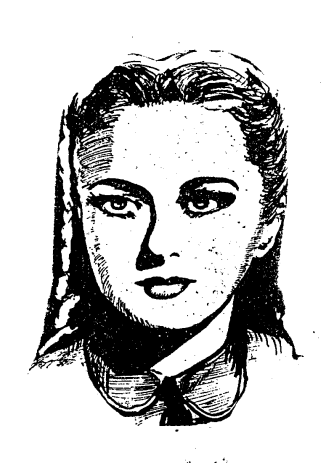
قلت : بالله عليك .. دعني وألغازك هذه .. لكن أخبرني .. لماذا استرعت هذه انتباهك بالذات .. والكلية ملآي بالطالبات ؟ .. لعل الأمل قد داعب خيالك ..

قال : كلا .. لقد حاولت أن أجد مثالا (للفتاة الكاملة) في الكلية .. وكانت هذه في رأيي تعتبر مثالا لذلك ..

قلت : إذن .. فالاختلاط لم يؤذك إلى درجة تجعلك تنكره .. أما زلت عند رأيك ؟

قال : طبعا .. ما زلت عند رأيي .

قلت : جميل جدا .. والفتاة الكاملة !؟



الفصل الثاني

وتعاقبت الأيام ومصر تعاني من هول الأفعال المنكرة التي يرتكبها الإنجليز .. ومن الآلام والحسرة على الدم المراق ، والأرواح التي زهقت هدرا . بينما كانت الدماء تسيل مدرارا على أرض الوطن .. كنا مجبرين على تلقي العلم في الكلية .. ولكن أني لنا أن ندرس .. والحوادث تلهب شعورنا ؟ .. غير انه كانت هناك فترات ينسى المرء ما حوله من الأمور الجارية .. وفى تلك الأوقات اليسيرة التي يغفل عنها المرء تيار الحوادث ، كنت وصديقي واقفين في إحدى ردهات الكلية .. وإذا بزميلة نعرفها تتقدم إلى صديقي وتبدره قائلة : بلغني انك ساخط على الاختلاط .. فهل لي أن اعرف لماذا ؟

وظل صديقي يدافع عن وجهة نظره بقوة .. حتى كان يحرج شعور زميلتنا ببعض الكلمات ، وكنت أشاهد دون أن أتكلم حتى انتهي حديثهما .. وتركتنا بعد أن يئست من محاولة إقناعه بخطئه .. وما إن انصرفت حتى جلسنا نحن الاثنين

فقلت : ما رأيك فيها .. إن وجهة نظرها صحيحة ..

قال : كلام فارغ .. لا أساس له ..

قلت : دعك من هذا .. ولكن ما رأيك في آمال .. أليست هي الأخرى طالبة أم أنها في مرتبة أعلى ، وإذا لم يكن هناك اختلاط كيف كنت ستعرفها ؟ وانتظرت منه الجواب فلم يحر بشيء .. ونظرت إليه ضاحكا ..

فقال : لم أراك ماكرا من قبل .. هل تأخذها حجة على .. لقد حاولت أن تنال مني ..

قلت : لماذا لا تكلمها .. ؟

قال : أنا .. لا أحول أن أمس شعورها بسوء أو أحرجها أمام زميلاتها ..

قلت : يا أستاذ الكلام ليس عبيا .. كما أني أعرفك تماما .. فأنت لست من هؤلاء الشبان العابثين ، فأنت كما أعلم لم تذهب إلي دور السينما قط إلا لماما .. ولم تفعل ما يغضب الله ، وأنت دائما في محراب الدين .. كما أن سريرتك نقية ، ولا تعرف المجون .. فلماذا إذن تخش محادثتها ؟

قال : إني أخاف كلام زميلاتها ..

قلت ساخطا : أتخاف كلام زميلاتها .. وأنت تخبر كل صديق عن حبك لها ، وهي لا تعلم به شيئا .. هل تريد الحقيقة ؟ .. إني في غاية الأسف لما تفعله .. كيف تخبر أصدقاءك عن شعور نحو فتاة لا تعرف أنك تحبها .. وتحيطها بهالة كبيرة من النظرات والغمزات .. لقد أتيت جرما في هذا ..

فقال بعد تفكير : فعلا .. اعترف بأني قد أخطأت في هذا .. ولكن ما السبيل لاصلاحه .

فقلت : لقد وصل بعض الكلام إليها محرفا عن الحقيقة ، وهي غاضبة منك على ما أظن .. لهذا يجب أن تكلمها كي تعتذر لها ، وتبين لها ظروفك التي دفعتك لهذا .. وربما صفحت عنك .

قال : لا أستطيع .. مستحيل .. لقد أخطأت .. هذا صحيح ، ولكن أليس هناك حل غير هذا ؟

قلت : هناك حل .. وهو أن ترسل لها خطابا تشرح فيه عذرك ودافع عن نفسك كما تدافع عن رأيك في الاختلاط ! !

قال : ألا زلت تهزأ بي .. كفاني ما أصابني ..

فقلت : لقد فعلت هذا بنفسك .. ويجب عليك أن تصلح ما أفسدته .

قال : ولكن .. أليس هناك حل آخر غير هذا أو ذاك ؟ .. فكم من مرة حاولت أن أكلمها و... ولكني لم أستطع ...

قلت : إني لا أعرف منطقك هذا .. تحب ولا تريد أن تكلم من أحببت .. ثم تحير عقلي معك .

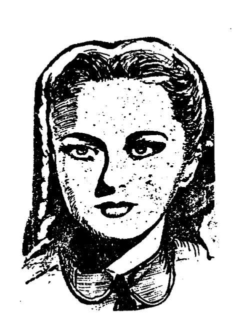
ولم ينبس صديقي ببنت شفة .. وانتهى اليوم الجامعي فخرجنا كعادتنا نسير الهوينا .. غير أن هذه المرة اختلفت عن المرات السابقة ، كان وجهة مقطبا ، وكأنما كان يفكر في أمر جلل ، ولم أشأ أن أقطع عليه حبل أفكاره وتصوراته .. ولكن الأمر جاوز حده .. كيف نسير مسافة طويلة كهذه دون أن نتكلم ؟ .. وأخير قلت ماذا بك ؟ .. هل كففت عن الكلام المباح ، ولكنه لم يتكلم ، وحاولت أن أسري عنه دون جدوى واقتربنا من مكان افتراقنا ، وحين هممت بمغادرته ، بادرني قائلا : لقد وجدت الحل ..

قلت : كيف ؟ .. هل اخترت أحد الاقتراحين

قال : كلا .. ! سأخبرك غدا إن شاء الله ..

ظهرت صحف الصباح تحمل بين سطورها الوقود الذي زاد النار لهيبا ، فقد ذكرت هذه الصحف .. كيف حاصر الإنجليز ألفا من جنود البوليس المصري وأسروهم واستولوا على أسلحتهم .. لقد أصبحت السويس وبور سعيد كعبة يحج إليها الأحرار من كل فج في القطر المصري كي يذودوا عن كرامتهم التي امتهنت . وكي يردون الصاع صاعين لهؤلاء الذين استكبروا وطغوا .. وثارت البلاد وتزمر الشعب كله .. ذلك لأن الحكومة كانت في واد .. والقنال .. والشهداء .. والقتلى والجرائم المحزنة .. والثكالى والأرامل والأيتام .. كل أولئك في واد آخر .

بلغ الحماس بالشباب أقصى الحدود ، فسافر بعضهم إلي القنال بعد أن استولوا على السلاح ، وقامت المظاهرات في كل بقعة من أرجاء الوطن . وهرع الرجال الأحرار من أنحاء مصر إلي نجدة السويس ، والى الذود عن أرض الوطن .. أرض النيل .



الفصل الثالث

- كنت حينئذ في كليتي وقد اجتمع الطلبة بأساتذتهم وقرروا عدم الدراسة بل وقد نهض أحد الشبان الأحرار . وناشد زملاءه بالتطوع معه للذهاب إلي كعبة الأحرار (منطقة القنال) .. وسرعان ما استجاب نداءه عدد غفير من شباب مصر الجامعي ، فهم الذخيرة حين يدعو المنادي أن لبوا النداء . كانوا هم في الطليعة دائما ، وقد حان الوقت . فتقدم الشباب الصفوف ، والدم يغلي في عروقه ، وفى هذا الجو المضطرم ، لم أستطع أن أعثر على صديقي ، ولم أستطع مقابلته ..

وبعد مضي عدة أيام ، بينما كنت عائدا إلي المنزل .. لمحت خطابا في صندوق الخطابات ، فتواردت على ذهني شتى الأفكار والأسئلة .. من أين هذا الخطاب ؟ ومن الذي أرسله ؟ .. وأخيرا أخرجت المفتاح وأولجته في باب الصندوق ، وأخذت من داخله الخطاب .. وصعدت به حجرتي ثم فضضته وقرأت ..

أخي الفاضل حسن

أهدي إليك تحياتي العاطرة ، وأشواقي الزائدة وبعد .. أخي .. إني أعتذر إليك عما بدر مني في ذلك اليوم .. الذي قلب حياتي رأسا على عقب . وأرجو أن تقبل عذري بعد قراءة خطابي هذا ، وأن لا تصب غضبك وسخطك وسخريتك .. أخي .. لا تلومني على ما أنا فيه ، وعلى ما بدر مني نحوك .. لقد كنت سعيدا بصداقتنا ، التي رفهت عني الكثير من الآلام ، وأبث إليك حبي وشكري على ما أسديته لي من نصيحة ، وعلى ما كنت تفعله كي تجعلني أنسي أحزاني وهمومي .. لم أكن أعلم يا أخي .. أنها ستكون السبب في كل هذا .. لقد كنت معجبا بها لا غير أول ذي بدء .. ولعلك قد لاحظتني منذ أول وهلة ، وشعرت أنك قد أدركت كل شئ ،

ولكنك أخفت عني شعورك حرصا على احساساتي ولكن يا أخي كنت اعرف ما يدور بسريرتك .. فلقد أثرت في إعجابي بك لصداقتك الحقة ، وتضحيتك الغالية لم أدر يا أخي .. كيف تطور إعجابي إلي هذا الحد ، ثم إلي الشيء الذي يسمونه الحب .. لقد كنت أذكر لك مناقشاتنا .. أنني لا أومن بالحب وليس هناك حب بالمعني الصحيح لهذه الكلمة .. وكنت تدافع عن رأيك بحرارة فأجابهك بالمثل ، ولم تستطيع أن تظهر على .. ولكنها غلبتني على أمري .. ولم تناقشني ولم تحدثني لقد تكلمت بعينيها فلم أدر كيف أحاجيها ؟ .. وصوبت إلي سهامها ، فاخترقت شغاف فؤادي وهي عني لاهية لا تعلم من أمري شيئا ، أحببتها كل الحب وشغفت بها ، وأصبحت ولها تائها في حبها .. وكم من مرة نبهتني أثناء مذاكرتي ، وكنت تنظر إلي نظرات ذات معني ، وحينما أسألك عما تبغي ، كنت تتهرب ، كنت أشعر أنت تعلم .. ولكن يا صديقي .. لم أكن أعرف للنوم سبيلا ، كنت أرقا مسهدا أذهب إلي الكلية فتبادرني السؤال عن حالي .. فأجيبك كاذبا عن تحسن صحتي ولكني كنت أشعر إنك لا تصدق ما أقول .. ولم أنس تلك النظرات التي صوبتها إلي يوم وفاة أستاذ التاريخ بكلمة الأمل أثناء حديثه ، فنظرت إلي آمال ثم إليك .. فوجدتك مصوبا إلي نظراتك وعلى شفتيك بسمة ساخرة .. لو تعلم كيف اختلج لها قلبي لحزنت لحالي ، ورأفت بي ولكنك كنت قاسيا على .. ولا انسي كلماتك .. (أنهن يا صديقي حبائل الشيطان ، ومهما بلغت هي في نظرك من الجمال والكمال فإنما هذا يرجع إلي حبك وشغفك بها .. والحب كما اعلم اعمي ، يغشي بصيرتك ويعمي قلبك هي أمامك .. فينوس الكون)

كانت كلماتك يا أخي ترن في أذني كلما انفردت بنفسي ، فكنت أسخط عليك حينا ، ثم أراجع نفسي فأري إنك محق في ذلك ..ولكني لم استطع أن أحجم

واكلمها .. وكنت تؤنسني .. وتعنفني وتسألني سؤالك .. لماذا إذن تهيم بها ؟ .. هذا السؤال جعلني في حيرة من أمري .. فهي تكبرني بقليل .. فكان هذا سببا أنها سوف لا تعيرني التفاتا . غير إني كنت أخالط نفسي . وأتهرب وأتعلل . حتى عقدت العزم على أن أكون من المتقدمين .. ولكن الأمد طويل ..

وهل ستنتظرني ؟ .. كنت أحيانا أقول لنفسي .. ما هذا إلا عبث أطفال . ثم يرن كلامك في أذني فيؤكده .. بيد أن لي قلبا يتفطر شوقا وحبا .. وكيف أسميه بلهو أو بعبث .. كنت إذا انفردت بنفسي أشعر بأني سأفقد الصواب . فليس هناك حل أستطيع هضمه ..

ولعلك لم تنس ذلك اليوم الذي تناقشنا فيه . وكنت مهموما وقد ذكرت لك أني وجدت حلا .. ينهي مشكلتي . نعم . لقد وجدت الحل فهانا اليوم في مدينة السويس مع زملائي نرد على اعتداءات الإنجليز ونصليهم نارا حامية .. ومن حسن الحظ . وتوفيق الله أن جميع عمليات فرقتنا قد كللت بالنجاح الباهر .. وأنني الآن مرتاح النفس والضمير . لأني أكافح من أجل وطني ولانتهائي من مشكلتي التي استحوذت على فكرى وذهني . كما أرجو منك يا أخي ألا تغضب لأني لم أذكر لك ما عزمت عليه . وارجو منك أن تبلغ سلامي إلي عائلتي كما أحب ـ كي تطمئن نفسي نهائيا أن تبلغ آمال تحياتي . وهي كما أعلم مهمة شاقة . ولكني أتعشم فيك وفي صداقتنا كما أخبرك بأننا نزمع القيام بأكبر عملية ستشهدها السويس وسيشهدها الإنجليز . وأتمنى من الله التوفيق والسلام ؟

أخوك المسلم سامي

أشتد بي الغضب بعد قراءة الخطاب ، إذ كيف يذهب إلي القتال دون علمي ؟ شعرت بانقباض صدري ، وتملكني الغيظ ، وأخذ علي كل مأخذ .. فقد كنت أعلم الدافع الذي جعله يسافر إلي أرض القتال كنت أعرف أنها ستجعل صداقتنا تشوبها القلاقل والاضطرابات . وكنت أعلم أن تدخلها في حياتنا ، سيحل الشقاء والدمار على حياة صديقي ..

ذهبت إلي الكلية لتلقي المحاضرات ، وكلما التقت عيني بعينها تحركت أشجاني ، فقد كنت أمقتها لأنها كانت السبب فيما حل بصديقي ولكنني كنت أراجع نفسي قائلا : وماذا فعلت به ؟ إنه هو الذي أحبها ، فما ذنبها إذن !! .. لقد تضاربت في ذهني الأفكار والحوادث حتى كدت أفقد عقلي .

ذهبت إلي والد صديقي أخبره ما حدث . فلم أره يهب مذعورا ولم يحرك ساكنا فأدهشني هذا منه .. وأخيرا قال : إنه الآن يا بني قد كبر ويعرف ما يضره وما ينفعه ، وما فعله الآن لا يغضب أحدا . وقد توقعت أن يفعل ذلك .. فقلت : ولكن كيف يذهب يا عم ، وهناك خونة يطعنون في الظلام ؟ .. ولكنه لم ينبس ببنت شفة وحول الحديث إلي عدة نواحي حتى تشعب بنا الحديث .. فاستأذنته وانصرفت مأخوذا بتصرفات هذا الوالد .

ومضت الأيام تباعا . وشاءت الظروف أن تجعلني التقي مع آمال ، فاستطعت أن أشير إليها بتحيات صديقي .. وكنت أتجنب ملاقاتها حتى كان ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلي الكلية . وحينما اقتربت منها شعرت بإحساس غريب يتملكني ، ورأيت حركة غير عادية ، فظننت أنه إضراب ، وحينما دخلت الكلية ، قابلتني لوحه كبيرة محاطة بشريط أسود ومكتوب عليها ..

(استشهد أمس .. وفى ساحة الشرف ثلاثة من الأبطال من شباب الجامعة وهم يقومون بنسف مخزن للذخيرة وهم : (الشهيد محمد غانم .. والشهيد سامي ...)

لم أستطع أن أكمل العبارة ، ولم أصدق عيني ، طفقت أنظر إليها مرة بعد أخرى ولكن .. كانت هي الحقيقة .. وسرت مبتعدا عنها وقد حز في الألم . وتفطر قلبي .. فسرت مطأطئ الرأس تتنازعني شتى الخواطر والأفكار .. وعلى حين فجأة سمعت صوتها يحدثني فرفعت رأسي ببطء فوجدتها أمامي ونظرت إليها نظرات غيظ مكتوم . ولكنها لم تعر هذا التفاتا وأعادت سؤالها مرة ثانية .. هل هو صديقك سامي الذي .. قلت : نعم .. فلقد قتل نفسه .. قالت : كلا لا تقل هذا ، إنه قد استشهد في ساحة الشرف كم هو مسكين .. !! ونظرت إليها نظرة حادة وأجبتها بسخرية : نعم مسكين .. لا لأنه قد استشهد في ساحة الشرف ولكن !! .. ولكنه مسكين .. لأنك كنت السبب ؟!

ولم أدعها تحاول الكلام . وأسرعت هاربا من أمامها خشية أن أقع في شباكها بدوري . بعد أن شاهدت بعيني كيف راح صديقي ضحية هواها .. فهذا الجنس لا يكفيه تحطيم نفس واحدة .. بل يجد اللذة في تحطيم الأنفس الأخرى .. وويل لمن يقع تحت أيديهن .

---

* كتبت هذه القصة (آمال) في ٣ يناير ١٩٥٥م

حق ضـــاع

ـ رفعت السيدة بدرية رأسها وطوت الكتاب الذي كانت تقرأه ثم نظرت إلي ولدها فؤاد وهو يطالع الجريدة المسائية في اهتمام وفجأة نهض فؤاد واقفا وقد بدأ الثائر على ملامح وجهه الوسيم ثم تقدم ناحية أمه وقال :

ـ أقرئي يا أماه : أن شباب هذا البلد المجاهد يواجهون المخاطر في القتال في سبيل طرد المستعمر الغاصب من بلادنا وأنا هنا مقيد المنزل أرتاد دور اللهو .. لا .. ينبغي أن أنهض بنصيبي من الجهاد

ـ أتعني يا ولدي أن تنتظم في سلك الفدائيين ؟

ـ هذا ما أعنيه بالذات يا أماه .. وصمتت بدرية هانم قليلا ثم قالت بلهجة يتمثل فيها الرعب ممزوجا بالحنان .. يجب قبل كل شئ أن تعلم أنك ولدي الوحيد .

ـ أعلم هذا يا أماه .. لكن للمسالة وجه آخر .. أن الوطن .. (ونهضت من مقعدها وتقدمت منه وقالت بصوت متهدج) أن الواجب يفرض عليك أن تبقي إلي جانبي .

ـ أرجوك يا أماه أن تفهمي ومع ذلك فلماذا تقدرين السوء .. فليس كل من خاض المعارك بميت .. قدري على أسوأ فرض أن أعود جريحا .. لكني أعود منتصراً .

- فؤاد .. أنت شاب بدون قلب (وتخاذلت ثم ارتمت على المقعد باكية ثم انفتح الباب ووصل السيد فتحي وأسرع إلي زوجته وأخذ يهدئ من روعها .. وقالت السيدة لزوجها :

- فتحي ! ولدي ينوي أن يتركنا .. ويتعمد أن يسحق قلبي .. وحدق السيد فتحي في ولده بينما استطردت الأم تقول - انصحه يا فتحي فإنه ولدك ..

- ما هذا يا فؤاد لم أعهدك تسئ إلي والدتك ..!

- معاذ الله أن أفعل .. المسالة كلها أني صرحت لها بالرغبة في التطوع في إحدى كتائب التحرير لكي أدفع ضريبة الدم المفروضة على كل مواطن فلم تقدر أن هذا واجب على ..

- أتعني أن هذا واجب عليك ..

- أليس واجبا على شاب في مثل سني أن يهرع إلي خدمة بلاده (وسكت فتحي لحظة) ثم قال :- اجلس يا بني ولنتحدث كما يتحدث العقلاء : يجب أن تعلم أن الجهاد لا يتوقف على فرد مثلك ؟ .

- لو قال كل أب هذا القول الذي تجهر به يا أبي .. فقاطعه الأب قائلاً :

- أقوال الناس .. لا جدوى منها ولا أثر لها علينا حالتك حالة خاصة وأنت ولدي الوحيد ثم أن لدي من الضياع والمصانع كثير وليس لي وريث غيرك ولست أرغب في أن تذهب هذه كلها إلي أيد أخرى قد تشيع فيها الفوضى ثم لا تنس أن لي عليك حقوق الوالد فقال فؤاد :

- أتحب يا أبي أن يصمني الناس بالجبن وما أنا بالجبان .

يـا بـني لـن يحدث هذا فقد يفيد المرء وطنه إذا عكف على عمله أكثر مما يفيده وهو في ساحة القتال .

ـ هـذا صحيح ولكني لا أميل إلي الأعمال التجارية ولا خبرة لي بها ومحال أن أجيد أدارتها وعلى ذلك فليس لبقائي نفع .. (فغضب فتحي بك واحتد وقال ينتهر ولده)

ـ ماذا أسمع إنك تجرؤ أن تجادلني .. أسمع يا بني إني أمنعك من التطوع وهذا حق من حقوقي خوله لي القانون .

ـ أنا آسف يا والدي .. والحق الذي نتمسك به أن أتفاهم معك ولكن التفاهم بعد ذلـك هـو الحـق الأول للدولـة تنازلت عنه لترضي أنانية الأباء أن كانوا من الأغنياء وتحفـظ للأسـرة المتوسـطة أو الفقـيرة عائـلها الأول والوحيد ولكن الدولة لا تملك أن تحول بيني وبين حقي في الدفاع عن وطني إذا تقدمت إليه متطوعاً .

* * واستمر الجدال يومين حتى صرعت الحمي أم فؤاد ولازم هو مخدعها لا تفتر عيـناه عـن السـهر عـلى راحـتها .. وسنحت لأمه فرصة مناسبة فانتزعت منه وعدا أكيدا بألا يتطوع .

وبعـد بضـعة أيام جلست تقرأ رسالة وما انتهت من قراءتها حتى مسحت دمعة طفرت من عينيها وشاهد ذلك السيد فتحي فسألها بلطف ـ ممن هذا الخطاب ؟

ـ من صديقنا إحسان وقد تألمت لمصابها بفقد ولدها إبراهيم ..

ـ نعم لقد أحزنني هذا أيضا وحز في قلبي أنه كان زميلا لفؤاد في المدرسة .

وأخذت بدرية تعيد قراءة الخطاب بصوت مسموع : -

عزيزتي بدرية ..

لقد ترك إبراهيم وراءه فراغا كبيرا لكن هذه مشيئة الله .. ولسنا نشك في أنه سيجزينا عن فقده خير جزاء .. إني على الحزن فخورة به فقد وصلتني مذكراته التي كتبها وهو في القتال يحارب اللصوص الحمر وقد قرأتها للمرة الخمسين .. وسأرسلها إلي الصحف لتكون نبراسا يهدي شباب مصر إلي مسالك البطولة ومدارج الفلاح .. لقد وضعت صورته الكبيرة في غرفة الاستقبال بعد أن كتبت عليها تاريخ الاستشهاد والموقع الذي أشترك في نسفه ونسف معه وكلما نظرت إليها خيل لي أنه يحدثني فيقول : ـ

(لا تحزني يا أماه فقد خلدت أسمي في سجل البطولة وكتبت بدمي الطاهر صفحة ناصعة في تاريخ جهادنا العظيم .. وهذا شرف لو تعلمين عظيم)

وفجأة دق جرس التليفون في منزل فتحي فأسرع إليه فقال المتحدث ألو .. منزل السيد فتحي .. نعم ..

ـ هنا القصر العيني .. آسف جدا أن أحمل إليكم خبرا سيئا .. لقد توفي نجلكم فؤاد في حادث تصادم منذ ساعتين و .. ووضع السماعة ووقف ساهما لا يتكلم وبصعوبة أفضى بالنبأ السيئ إلي الأم التي انفجرت باكية وقالت أتراه يعفو عنا وأصفر وجه فتحي وأطرق ثم قال :ـ لقد سلبناه حقه وكان خيرا أن يستشهد في ميدان البطولة .. نعم ثمن زهيد يجب أن تدفعه كل أسرة في سبيل مجد الوطن .. وصدق الشاعر :

من لم يمت بالسيف مات بغيره ... وأري الممات مقدرا ومحتما

● *نشرة هذه القصة (حق ضائع) في مجلة صوت الطلبة ص ٨ عام ١٩٥٨●

إنني حي ..

﴿قصة اليأس .. ولا يأس مع الحياة !

قصة الشباب الحي .. مع الحياة﴾

«دلف الطبيب إلي حجرة المريض الذي يعالجه ، فرآه يسبح في نوم عميق واقترب منه بحذر خشية إيقاظه ، ولكن رنين التليفون الذي دق على حين بغته جعله يقف في مكانه ، وسرعان ما تملكته الدهشة إذ رأي المريض يهب من نومه ويمسك سماعة (التليفون) بيد مرتعشة ويتكلم وقد بدا على وجهه الاهتمام والتفكير وبعد إنهاء الحديث وضع السماعة مكانها ، ونظر إلي الطبيب باسما وقال : - صباح الخير يا دكتور .. ماذا هناك اليوم ؟ هل جئت تلقي على دروسك في الصحة كما هي العادة !؟ أم هناك شئ جديد ؟ فقال الدكتور بعد أن جلس بجواره ، وقد بدا على وجهه الحزن : - صباح الخير يا أستاذ حسني ، أراك تسخر من الصحة ولكن ، ألا تعلم أن صحتك لا تتحمل كل هذه المجهودات التي تقوم بها ، ولا سيما وأنت تمر بمرحلة دقيقة من مرضك ، وإن كان من واجب الطبيب ألا يخبر مرضاه عن مرضهم ، ولكنني مضطر أن أخبرك بحالتك .. إزاء إصرارك على إنهاك صحتك بهذه الطريقة ..

فقال أتنظر إلي عملي هذا على أنه إنهاك للصحة .. يا دكتور . إني مثلك تماما أحمل رسالة ، فأنت رسالتك صحة الإنسان ، ورسالتي صحة العقل ، تثقيفه

فقال الدكتور : إني أعلم كل هذا .. وأعلم أن رئاستك لتحرير هذه الجريدة التي أنشأتها ستودي بك إلي الانهيار . وخاصة هذا المرض الذي ألم بك .. وسكت برهة ثم أستطرد كلامه قائلا : ـ لماذا لا تستكين قليلا ، وتترك الصحافة بعد أن صودرت جريدتك ، ومازالت القضية مستمرة بينك وبين الحكومة اترك هذه المهنة ، واسترد صحتك ، وابدأ من جديد وزفر الأستاذ حسني زفرة حارة وقال : ـ إنك يا سيدي تطلب مني المستحيل ، كيف تود أن أهرب من دمي .. لقد كرست لهذه المهنة حياتي ، ولا يمكن أن أتخلي عنها ..

ودق (التليفون) مرة أخرى ، فاستأذن الأستاذ حسني الدكتور ، وأمسك بالسماعة وقال : ألو ..الأستاذ محمد .. صباح الخير . ماذا تم في جلسة اليوم .. تأجيل .. فيه أمل في إصدار الجريدة .. طيب ، لا تنس أن تمر على .. مع السلامة . ووضع السماعة ووجه حديثه إلي الدكتور : ـ أنه الأستاذ محمد المحامي الذي يساعدني في القضية ولابد بعون الله أن أنتصر .. مادمت حيا على هذه الأرض ..

فقال الدكتور وهو يعطيه الحقنة : ـ ليكن لك ما تريد ، ولكن داوم على تناول الأقراص والفيتامينات التي أمرتك بها . ولا تحاول أن تسخر منها لئلا تسوء حالتك أكثر مما هي عليه الآن .. وخرج الدكتور مشيعاً بنظرات الأستاذ حسني الساخرة المتحدية ..

ومرت الأيام . وكانت صحة الأستاذ حسني تزداد من سوء إلي أسوأ وبالرغم من هذا ظلت حجرته لا تكف فيها الحركة . فهؤلاء هم المندوبون الذين يعملون معه في الجريدة . وهؤلاء هم المحررون وهذا مدير التحرير .. والآخر السكرتير .. كانت حجرته غاصة بكل هؤلاء الذين قدموا يستفسرون عن صحته . ذلك لأن أرزاقهم متعلقة بجريدتهم .. وهو مع هذا لا يكف عن توجيه الأسئلة وإدارة دفة القضية والسؤال عن تطوراتها . والاستفسار عن حالة عماله وزملائه ، وأصحابه . لم يكف عن التفكير بالرغم من مرضه العضال .. تلك هي الحركة الدائبة التي يعيش فيها

وبينما هو راقد في فراشه ذات يوم . وقد قاربت الساعة الثالثة بعد الظهر ، إذ دخل عليه الدكتور ، فوجده غائبا عن الوعي .. فأسرع وأفاقه .. فنظر إليه حسني بعينين زائغتين . ولم ينبس بكلمة لشدة تعبه وخاصة أن المرض قد أخذ منه كل ما أخذ .. فقال له الدكتور : ـ يا أستاذ حسني دعك من التفكير في هذه القضية .. إن حياتك أهم من كل ذلك . بل وكيف تشغل نفسك بأمر ثانوي بالنسبة لحياتك .. وانتزع حسني الكلمات من فمه بصعوبة وقال : ـ إنك يا سيدي تدعوني إلي اليأس أي تدعوني إلي أن أنسي أنني حي ! ولكنني لن أيأس ما دمت حيا !! وفى هذه اللحظة ، فتح الباب ، وظهر الأستاذ محمد المحامي ، ودلائل البشر تلوح على وجهه ، واقترب من الأستاذ حسني وقال : ـ مبروك يا أستاذ حسني .. لقد كسبنا القضية وسوف تصدر الجريدة غداً ونظر حسني إليه ، وقد ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة واتسعت حدقتاه والتمعتا بومضة هدوء ورضا وقال الحمد الله فلتصدر الجريدة بعون الله غدا ..

وبينما كانت الجريدة تحت الطبع كان الأستاذ حسني في صراع عنيف مع الموت وقد التف حوله الأطباء يحاولون إنقاذه ، وبينهم الدكتور الذي عالجه وانتهت العملية ، وانتظر الجميع النتيجة واحضرت النسخة الأولي من الجريدة بعد المصادرة كي يراها الأستاذ حسني ووقف الجميع حوله الزملاء والصحاب وقد خيم عليهم سكون رهيب وأخيرا تحركت أهداب حسني وفتح عينيه بصعوبة .. ونظر حوله .. فأنحني عليه الدكتور وقال :ـ الحمد الله لقد نجحت العملية وأمسك بالجريدة واستطرد كلامه : لقد صدرت الجريدة يا أستاذ حسني وأعطاه أياها وابتسم حسني وقال بصعوبة : ـ الحمد الله سأموت راضيا عن نفسي ، فقد كنت حيا طوال حياتي ولم أكن من الأموات وبعد دقائق أسلم الروح وهو بين أصدقائه وزملائه وأصحابه والجريدة ملقاة بجانبه .. وقال الدكتور ورأسه منكسة على صدره :ـ لقد حسب نفسه أنه مات ولم يعلم أنه حي بيننا الآن بعد مماته ؟ فمن مثله يعيش حيا ويموت حيا !!؟ .

* نشرت هذه القصة (إنني حي) في مجلة جامعة الإسكندرية العدد الرابع ص٩ ١٩٥٦م.

دنشـواي

قصة يجب أن يعرفها كل شاب مصري

كـان ذلـك في أواخـر عـام ١٩٠٦م حـين بـدأ الجـلادون في تنفيـذ ما قضت به المحكمـة العادلـة من جلد وإعدام على عدد من رجال (دنشواي) لأنهم تصدوالضباط الإنجليـز وهـم يصيدون الحمـام.وكـان اليوم قائظا والشمس قد توسطت السماء لأن السـفاكين أرادوا أن تكـون سـاعة تنفيذ الحكم هي نفس ساعة الاعتداء المزعوم على الكابتن (بول) حين أطلق الرصاص على حمامتين سقطتا على أكداس القمح ، وكانت هـناك امـرأة فارتاعـت لمـا رأت إنجليـزيا وبندقيـته فصـرخت مولولـة وأطلق عليها الرصـاص فأرداهـا قتيلة .. وهنا تجمهر الأهلون ليأخذوا بندقيته ففزع لمرآهم فأطلق لسـاقيه العنان ، وأخذ يعدوا في هذا القيظ حتى بعد عن القرية ثلاثة عشر كيلو مترا وكان برأسه جرح غير بالغ ، لكن الجري والحر أفسداه حتى جعل منه سبباً لموته .

وفي البيدر حيث سقطتا الحمامتان أقيمت خيام ومشانق .. ونفخ أحد الجنود في الـبوق إيذانـاً بابتداء التنفيذ الرهيب فارتجفت القلوب والأجساد وصعد أربعة رجال سـلم المشـنقة حيـث أزهقـت أرواحهم البريئة الطاهرة ، وكنت تري الدموع تنساب مدراراً على كل وجه تقع عليه عيناك ، فهذه أم تبكي فلذة كبدها .. وأخري تبكي حبيبها ، وآخرون احتبست الدموع في محاجرهم من هول الفاجعة المروعة .

وكان في القرية في ذلك الوقت فتي في الربيع الثامن عشر ، قوي البنية ، مفتول العضلات جاء إلي قريته لتمضية إجازته ورأي تلك الحادث المشئومة ، فالتقط حجراً وضرب به الكابتن في مؤخرة رأسه ليستخلص منه بندقيته . ولكن يا للصاعقة لقد أصبحت دنشواي مسرحاً للطغاة الغاصبين . واهتموا بمقتل الكابتن .. فكانت هي السبب في موته .

وكان هذا الشاب هو ابن العمدة الوحيد وحينما علم أبوه بذلك ألصق التهمة في أسرة معادية له . ولكن الشاب أبي على أبيه أن يجعل أحداً يؤخذ بجرمه في نظر الطغاة . ووجد الأب إصرارا من ولده في تسليم نفسه إلي القوات الغاصبة ، فأمر رجاله فكتفوا ولده بعد مشقة وأبعدوه عن القرية وفى ذلك الوقت أريقت فيها دماء الأبرياء الطهره ، وفتحت قبور وسجون وأغلقت أبواب ويتمت أطفال ورملت نساء .

وقد عاش هذا الشاب يئن تحت عبء الضمير ثلاثة عشر عاماً .. ثم دراسته في الحقوق واحترف المحاماة ولعل لحادث الحمام ، دخلا كبيراً في اختياره تلك المهنة

وجاء عام ١٩١٩م ومصر تغلي كلها في أتون من الثورة وقد قاد ابن العمدة الجماهير بروح قوية وحمل رأسه على كفيه ، فلم يرهبه رصاص الإنجليز في شوارع المدينة .. وكم من سلاح استولي عليه بيده العزلاء وقلبه المسلح باليقين والإيمان ثم أطلقه على عدوه وأكب عليه يقول (قتلتك حمامة من دنشواي) كم كانت هذه الكلمة تشفي من غليله ، وفى إحدى المرات بينما كان يقود الجماهير إذا انهال عليه وابل من رصاص السفاكين الخونة ، فسقط على الأرض مضرجاً بدمائه الطاهرة روحه الذكية إلي خالقها .. وبعد أيام شيع البطل في موكب عظيم إلي مقره الأخير .

• *صحيفة العباسية (يحررها طلبه المدرسة العباسية الثانوية) ص ١٦، ١٧ عام ١٩٥٠ •

الدرس الأخير

ـ وقفت كعادتي صباح كل يوم عند المحطة منتظرا الترام الذاهبة إلي مدرستي وكما هي العادة وفى هذه الساعة بالذات ما بين السابعة والثامنة صباحا لا ترى للترام أثرا ، فكأنما انشقت الأرض وابتلعتها ، على حين أنها لا تكف عن صخبها وضوضائها كل دقيقة أثناء النهار ، أما في هذه الساعة .. فلست أدري لماذا تتباطأ في سيرها وكأن الحوادث قد تراكمت منذ أيام كي تظهر في هذه الساعة . وظللت واقفا منتظرا طلعتها البهية . ولكنها أبت .. وبعد لأى ظهر على البعد شبح الترام لم أتبين شكلها تماما لازدحامها بالركاب . وأخيرا وصلت إلي المحطة فأسرعت أنقب عن مكان أستطيع الوقوف فيه حتى وجدته .

وكان على جانبي شريط الترام بجوار (الجمرك) عمارات كانت فيما مضي آهلة بالسكان المصريين وسرعان ما احتلها الإنجليز متذرعين بوجوب قربهم من الميناء والأسطول . وبهذه الادعاءات احتلوا معظم مرافق البلد ، فأينما ذهب المرء وجدهم أمامه .. وفى هذا اليوم بالذات طفقت أسناني تصطك . ولست أدري أمن البرد أم من ذلك الدرس الذي سآخذه في أول حصة ، وهو درس اللغة العربية ؟

لقد نبهنا الأستاذ عبد اللطيف بأن هذه الحصة ستكون حصة تطبيق وقواعد وكم كان هذا الاسم يثير في نفسي الخوف الشديد ! فلست أحب هذه القواعد

وهذه التمرينات التي غالبا ما أنال العقاب عليها لعدم استطاعتي حلها .

واقترب الترام من المدرسة فأزداد الخوف ..

وتخاذلت قدماي .. ولكن ليس هناك مفر ، وما هي ألا برهة حتى جاءت المحطة فنزلت ، وسرت متباطئا خائفا من تلك العصا التي سترحب بي في هذا الصباح . عصا الأستاذ عبد اللطيف ، وتخيلت ما سيحدث عندما أدخل الفصل فها هو الأستاذ يستقبلني و(المبروكة) في يده أي العصا تحييني تحية الصباح لتأخري عن الحصة ومهما شرحت للأستاذ عبد اللطيف الأسباب التي جعلتني أتأخر ، فلابد للمبروكة أن تسلم على وكان سلامها في كل مرة يؤذيني ويؤلمني أشد الألم وبعد كل هذا يجعلني أقف بجوار الباب حتى تنتهي الحصة

تواردت هذه التصورات على ذهني ، فوقفت في مكاني أقول لنفسي .. هل أهرب ولا أحضر حصة اللغة العربية ولكن إلي أين سأذهب ؟ .. وطفقت أفكر وأخيراً عزمت على المغامرة والتوجه إلي الفصل مغريا نفسي قائلاً : (علقة تفوت ولا حد يموت) .. وطرقت الباب ، ودخلت الفصل مرتجفاً ، فابتدرني الأستاذ قائلاً : لماذا تأخرت اليوم كذلك يا سمير .. أنها عادتك دائما إني أراك ترتعش من البرد ، أذهب إلي مكانك بسرعة لتدفئ نفسك وتوجهت إلي مكاني مذهولا مما حدث ، فلم أر ما توقعته بل وأين المبروكة ؟ لقد كانت نبرة كلامه رقيقة ممزوجة بالشفقة والحنان .. ماذا جرى ؟ ما الذي حدث ؟ وتلفت حولي فوجدت تلاميذ لم أشاهدهم من قبل ، وطفقت أنقل بصري فيهم فعرفت أنهم زملائي من فصل آخر في نفس السنة الدراسية .. السنة الثالثة الابتدائية .. وتساءلت ، ولماذا أتوا إلي هذا الفصل ؟ وانتشلني من حيرتي صوت الأستاذ عبد

اللطيف يقول : ربما تتساءلون يا أولادي عن سبب وجودكم في هذا المكان ، ولكن لا تتبعوا أنفسكم في هذا ، وأعلموا أني ما جمعتكم إلا لأعطيكم الدرس الأخير في لغتكم العربية .. فقد تولي بالأمس ناظر إنجليزي إدارة المدرسة ومنعوا تدريس اللغة العربية وستتعلمون اللغة الإنجليزية .

وسكت الأستاذ ريثما يلتقط أنفاسه وكانت هذه أول مرة أراه شاحب اللون يلهث في كلامه ، ويجد صعوبة في كلامه ، ويجد صعوبة كبيرة في النطق .. وفرحت كثيراً فسوف لا أتعلم اللغة العربية ، وسوف لا يكون هناك بعد اليوم قواعد ولا تطبيق ، وعندما يري أبي أن اللغة العربية سوف لا تدرس في المدارس سيمنعني من الذهاب إليها ، وبذلك أصبح (خاليا) ، فلا مذاكرة ولا قواعد ، ولا امتحانات .. وأعيش سعيداً .. وأستطرد الأستاذ كلامه ولهذا فأرجو منكم أن تصغوا إلي هذا الدرس .. أعلموا أن هؤلاء الإنجليز أنما أرادوا بذلك محو آثاركم وكيانكم من الحياة ، أن اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة أو ذاتها العامة ، فإذا هجعت قوة الابتكار بأي سبب توقفت اللغة عن سيرها وفي الوقوف التقهقر ، وفي التقهقر الموت والاندثار فكونوا على حذر من لغتكم ، فلا تتكلموا إلا بها واقرءوا يوميا قرآنكم حتى لا تنسوا عربيتكم ، وتعلموا لغتهم كي تفهموا ما يقولون ، والآن هيا بنا إلي درسنا . وظل يشرح في القواعد والتطبيق ، وعلى حين فجأة سمعته يسألني الجواب عن أحد الأسئلة فوقفت حائراً لا أدري ماذا أقول .. وتلعثم لساني حتى خجلت من نفسي ، فابتدرني الأستاذ قائلاً : أتدعي أنك مصري وأنت لا تعرف القراءة الصحيحة ، ألم تخجل من نفسك وأنت تدرس الدرس الأخير من لغتك فأراك عنه لاهيا غافلاً ؟ .. أيسرك أن تخطئ في لغتك ، ولا تستطيع التكلم بطلاقة ؟ إذن فما الفرق بينك وبين

الإنجليزي الدخيل حين يتكلم لغتك بلكنة غريبة ؟

. ورمقني بنظرة ملؤها الأسف والألم .. وجلست وقد علا الدم في وجهي حتى كاد يتفجر من أوداجي وأرهفت بسمعي إلي الأستاذ وهو يتابع شرح الدرس فما أسرع ما فهمته ووجدته سهلاً لا صعوبة فيه ولا غموض واشتقت إلي الدرس بلهفة فطفقت أصغي لكل كلمة يفوه بها إلي أن انتقل إلي درس آخر . فتوقف عن الشرح وقال : أما الآن يا أبنائي ! فسنأخذ درساً في الخط كي لا تنسوا جمال الخط العربي . وتوجه إلي السبورة ووقف يفكر ثم زفر زفرة حارة وجرت يده على السبورة فكتب بخط جميل (تحيا مصر حرة) .. ونظرنا إلي الجملة . وهتفنا جميعاً بصوت جهوري كما طلب منا الأستاذ .. (تحيا مصر حرة) .. وفتح الباب في هذه اللحظة وبدأ الناظر الإنجليزي وخلفه معاونوه . ورأينا الشرر يتطاير من عينيه .. ونقلت بصري إلي الأستاذ فوجدته مشرقا على ثغره ابتسامة هادئة . وساد الموقف الهدوء الرهيب ولم يكن هناك سوى النظرات المتلاحقة وتكلم الناظر فلم نفهم شيئاً ورأينا الأستاذ يهم بالخروج معه وقبل خروجه ألتفت إلينا وقال : احفظوا هذه الجملة جيداً ولا تنسوها .. وخرج محوطا بالناظر وبطانته .. فانهمرت دمعة على خدي .. وكان هذا آخر عهدنا بأستاذنا عبد اللطيف . وأصبح هذا اليوم عندي خالداً على مر الأيام . يوم أن عرفت فيه قيمة لغتي العربية .

---

*مجلة كلية الآداب (العدد الأول ١٩٥٤ـ ١٩٥٥م) ص١٣٥ـ ١٣٧

اللص الداهية

﴿قصة بوليسية ممتعة﴾

كان جيم شابا في الثالثة والعشرين من عمره ولكن الفقر والحب هما اللذان دفعاه إلي السرقة ، فحين علم بأن الممثلة المشهورة آرابيلا غائبة عن دارها ، قرر أن يسطو على دارها ويسرق عقدها الثمين الذي أهداه إليها أحد الأغنياء ، ووضع خطته وأحكمها وحيث أنه كان ميكانيكيا ممتازا فمن السهل عليه كسر الخزنة والاستيلاء على العقد .. وكان جيم يعمل بهمة لا تعرف الكلل ، على ضوء المصباح الخافت الذي يحمله ، وهو لأول مرة في حياته يسطو على المنازل للسرقة ، وبدأت يداه تضطربان ، وفؤاده يخفق بشدة ، وعندما تذكر أنه يخاطر بحريته وحياته حبا (بمر جوري الحسناء) التي يحبها بشغف ، ويريد أن يتزوجها ولكن فقره حال دون ذلك وكان جدار الخزانة في ذلك الوقت ، يذوب رويدا .. رويدا تحت أشعة لهب الأكجسين المسلطة عليه ، وجيم يريد أن ينتهي منه بأقرب سرعة ممكنة ، حتى إذا اتسعت الثغرة في الخزانة ، وضع المصباح جانبا ، وادخل يده في جوف الخزانة وأخرج علبة جميلة الشكل ، زرقاء اللون فتحها بأصابع مرتجفة حتى إذا وجد بداخلها العقد المنشود ارتسمت على محياه دلائل الارتياح والسرور ، وبينما هو غارق في تأملاته ، خيل إليه أنه سمع حركة فارتعدت فرائصه وأرهف أذنيه ولكنه اطمأن عندما نظر هنا وهناك وأخذ يفكر في كيفية بيعه ، إنها فكرة حسنة فسوف يبيع لآلئه الواحدة تلو الأخرى ، دون أن يتطرق الشك إليه ، وفجأة سمع صوتا كالرعد يصيح (الق العقد أيها اللص وارفع يديك وإلا ألهبت رأسك بالرصاص)

شحب وجه جيم حتى عد من الأموات ، وغاص قلبه بين جنبيه وتطلع إلي ناحية الصوت ، فرأي شابا طويل القامة مرتديا بيجاما للنوم مشعث الشعر . وقد قبض على مسدس مصوب إليه ، فلم يسع (جيم) إلا الإذعان والطاعة وأعاد العقد إلي مكانه وقد فاض قلبه بالحسرة واللوعة ، وانهارت صروح أماله وأمانيه . وقطع عليه حبل أفكاره صوت الشاب هازئا (إن عملك لبارع أيها الفتي ، ويبدو لي أنك ميكانيكي ماهر أليس كذلك؟).. وأطرق جيم ولم يحر جوابا واستطرد الشاب بنفس اللهجة .. ستقص على حكاية مؤثرة كما هي العادة عندما يقع لص ناشئ ، وأنه رجل شريف دفعته الحاجة الملحة إلي السرقة وأن هذه هي المرة الأولي التي يسطو فيها ...

فقال جيم :- هذه هي الحقيقة يا سيدي .. إني مصدق قولك ، غير أنك اخترت مهنة صعبة ، إن اللصوصية لا يقدر عليها كل إنسان فهي تتطلب أن يكون اللص ماهرا حاذقا ، فأنت مثلا تحدث في أثناء عملك أصواتا مزعجة ، ولو إنك لا تحس بها ولا تشعر ، لكنها جعلت النوم يطير من أجفاني .. وكان جيم لا يزال رافعا يديه إلي اعلي ، فأجاب بصوت متعلثم .. لقد ظننت أن الدار خالية ..

إن هذا الظن من أكبر العيوب التي تعتري اللصوصية المبتدئين ، وها أنت بعملك هذا وقد وضعتني في أدق المواقف فماذا أقول لابنة عمي عن الخزانة ، المثقوبة إذا تركتك تذهب بسلام دون أن أسلمك إلي رجال البوليس أرجو عفوك يا سيدي ..إني أكره تدخل البوليس في شئوني وأنه إلي الآن لم يستطع القبض على اللص الشهير المسمي (ستنفنسن) الذي نهب الملوك وفاز بالأموال الطائلة ، وكان جيم يرجوه

ويستعطفه والشاب يتأمل ويتطلع إليه ، ثم صار نحو ركن الغرفة وعيناه لا تستغفل عن جيم ، حتى إذا اقترب من التليفون تناول السماعة ووضعها على أذنه ولكنه سرعان ما أعادها إلي مكانها قائلا : ـ إنك شاب يبدو لي إنك مستقيم لولا الحاجة التي أرغمتك على أن تفعل ذلك ، ومن المؤسف أن أؤدي بك إلي التهلكة فاذهب طليقا .. ولكن اياك أن يراك أحد وأنت تتسلق سور الحديقة ، وقفز جيم من النافذة وهرول مبتعدا واقترب ابن عم آرابيللا من الخزانة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة ! وتناول العقد ، وخلع بيجامته فظهر ببذلة أنيقة وتمتم قائلا لنفسه : مسكين هذا الفتي فقد تعب وكد في فتح الخزانة وجئت وجنيت ثمرة أتعابه ماذا يقول عندما يقرأ في الصحف أن لصوصا قد سطوا على منزل الممثلة الشهيرة آرابيللا ، وسرقوا عقدها النفيس .. هل يتبادر إلي ذهنه أن الذي حرمه من ثمرة أتعابه هو (ستنفنسن) نفسه لا ابن عم صاحبة المنزل ! ومائبي هذا يصيد وذاك يأكل.

● نشرت هذه القصة (اللص الداهية) ـ مترجمة ـ في مجلة صوت الطلبة ● ص٨ ـ ١٩٥٠م.

أمانة نـادرة

*اشتري فلاح مساحة من الأرض ليزرعها ، فبينما هو يحرثها ، اصطدم محراثه بجسم صلب ، فنظر إليه ، فإذا هو جرة مملوءة ذهباً ، فقال لنفسه : ـ ليس لي الحق في الاستيلاء على هذه الجرة ، وإنما هي ملك للرجل الذي اشتريت منه الأرض .

ثم ذهب إليه ، فدفع إليه الجرة ، ولكن الرجل ردها إليه وقال له : بأي حق آخذها وقد بعت لك الأرض بما فيها ، ولم أكن أعلم أن بها جرة مدفونة ؟

وهكذا اختلفا ، كل منهما يدفع الجرة إلي صاحبه ، لأنه لا يريد أن يأكل المال الحرام ...

رفع الرجلان أمرهما إلي القاضي ، فأعجب بأمانتهما ، وسألهما : هل لكم أولاد ؟

قال أحدهما : إن لي فتي واحداً !

وقال الأخر : وأنا لي فتاة واحدة !

قال القاضي : فليتزوج الفتي الفتاة ، ويقتسما جرة الذهب ، جزاء أمانة والديهما .

*نشرت هذه القصة (أمانة نادرة) في مجلة سندباد العدد ٥ص ٢ناير ١٩٥٢

وطنية أم

*ذهبت امرأة عجوز لكي تسجل أسماء أبنائها الثلاثة في سجل المتطوعين للدفاع عن وطنها ، فقيل لها :

ـ ولماذا لا تستبقين أحدهم ليقوم برعايتك ؟

قالت : وهل يطيب لي عيش إذا هزم وطني ، وولدي إلى جانبي !

وبعد أيام جاءها نعي أحد أولادها ، فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

ـ لقد حرم وطني من جهاد ابني الشهيد ، ولكني أرجو أن يكون في جهاد أخوية ما يرد العدوان عن الوطن ..

ثم جاءها نبأ استشهاد ولديها الآخرين ، فبكت بكاء حارا ، وأقبل الناس يعزونها قائلين :

ـ لا تحزني فإن الدولة ستكفل لك معاشك ..

قالت : لست أبكي لهذا ، وإنما أبكي لاني أرملة عجوز .. فلن أستطيع أن أقدم للوطن من يدافع عنه !

● *نشرت هذه القصة في (قصص للجيب لطلبة) عام ١٩٥٨م ص ٣.

غلام شريف

كـان أحـد الـتجار ذاهـبا إلـي السـوق ، يحمـل عـلى رأسـه سـلة مليـئة بـالخوخ .. سقطت ثـلاث خوخـات عـلى الأرض دون أن يفطـن إلـيها الـتاجر . رآهـا غـلام فقـير .. أسـرع إلـي الخوخـات وجمعهـا .. وجـري خلـف الـتاجر صـائحا .. (يـاعم .. يـاعم ..) التفـت الرجل خلفه . فوجد ذلك الغلام وهو يعطيه الخوخـات .. قـال الـرجل للغلام .. (أشكرك يا بني) وأخذ منه الخوخات .. وقال (والآن .. خذ أحسن خوخة من هذه السلة . لأنك ولد شريف) .

وعندما انصرف الرجل ، جاء ولد شرير إلي الغلام وقال له : إنك عبيط .. كنت تسـتطيع أن تأخذ كل ما يسقط من السلة .. وتعطيني منها ما تشاء .. قال الغلام : لا يمكـن أن أفعـل هـذا .. ومـع ذلك يمكنك أن تأخذ هذه الخوخة إذا أعجبتك .. لأنها ملكي ويمكنني التصرف فيها ..

ولكنني إذا أعطيتك ما ليس ملكي .. فإنني أكون قد سرقت .. وغلام فقير مثلي يجب ألا يفقد سمعته كغلام شريف

* نشرت هذه القصة في (قصص للجيب لطلبة) عام ١٩٥٩م ص ٣.

الخاتم السحري

منذ سنين طويلة ، وفى قرية بعيدة نائية ، كانت هناك أسرة تملك كنزا كبيرا هذا الكنز هو خاتم مصنوع من الذهب ، وبه ماسة كبيرة . وكان لهذا الخاتم قوة سحرية تجعل الناس تحب من يلبسه ، وأخذ ينتقل بين أفراد الأسرة حتى وصل إلي أحد الأبناء .

وقوة الخاتم السحرية تتلاشى إذا نسي الشخص الذي يلبسه أن يتذكر تلك القوة وعندئذ يرتكب الأخطاء .. ولكن ذلك لم يحدث وأحس الرجل الذي يملك الخاتم أنه يوشك أن يموت لأن السن قد تقدم به ، وبدأ يفكر في الخاتم .. إن له ثلاثة أولاد .. يحبهم جميعا ولا يفرق واحد عن الآخر ، فكيف يعطي الخاتم لأبنائه الثلاثة ؟ إذا أعطاه لأحد أبنائه ، فإنه سيتألم لأنه لم يعطه إلي الأخ الثاني وعندئذ جلس الرجل يفكر كثيرا ماذا يفعل ؟

وبعد تفكير عميق ، اهتدي إلي حل .. ففي صباح أحد الأيام أخبر أسرته وأصدقاءه بأنه سيقوم برحلة طويلة إلي بلد حيث لا يعرفه أحد ، ولا يعرف قصة الخاتم السحري .. وهناك عثر على أعظم صائغ بالبلد ، فذهب إليه وطلب منه أن يصنع له خاتمين آخرين مثل الخاتم الأصلي .

وبعد ستة أسابيع أتم (الصائغ) صنع الخاتمين .. وعندما حضر الرجل ليتسلم الخواتم الثلاثة لم يستطع أن يميز بين الخاتم الأصلي وبين الخاتمين المزيفين .

** وعندما اقتربت ساعة الوفاة ، نادي الرجل ابنه الكبير وقال له (ابني العزيز أنت تعلم قصة الخاتم السحري الذي تملكه عائلتنا ، وتعلم من قوته السحرية التي تجعل صاحبه محبوبا من الناس .. وأنت يا بني اعز ابن عندي .. ولذلك فإن الخاتم أصبح لك فاحفظه ، وفكر فيه وآمن بقوته ، وتابع الرجل كلامه (إنني أطلب منك طلبا من أجل خاطري ألا تلبس الخاتم طالما أنا حي ولا تجعل أي إنسان يراه ولا تخبر أخواتك بأنني قد أعطيتك الخاتم .. فإنك تعلم كم أحب أخواتك ، ولا أحب أن أراهم حزن لأنني لم أعطهم الخاتم) .

فقال الابن الأكبر : إنني أشكرك من أجل الخاتم يا أبي ومن أجل حبك لي ، سأفعل ما بوسعي لأعيش بين الناس محبوبا ، سأحتفظ بالخاتم سرا طالما أنت حي لأنني أيضا أحب أخواتي ولا أحب أن يكونا في حزن) .

ونادي الأب الابن الثاني ، وقال له نفس الكلام الذي قاله للابن الأكبر، وأعطاه الخاتم الثاني .. وكذلك أعطي الخاتم الثالث للابن الأصغر ، وبعد ذلك مات الأب.

وذات يوم لبس الابن الأكبر الخاتم ، فرآه الأخوان فاندهشا ، لأن كل واحد منهما كان يعتقد أن الخاتم السحري معه وحده .. وجري الأخ الثاني إلي حجرته، وعاد وقد لبس الخاتم وكذلك فعل الأخ الصغير ، واندهشوا جميعا عندما وجدوا أنفسهم يلبسون الخاتم السحري ، ولكنهم بدأوا يتشاجرون .. وقال الأخ الأكبر : لماذا اشتري كل واحد منكما خاتما مثل خاتمي السحري ؟

وصاح كل واحد منهما (إن خاتمي هو الخاتم الحقيقي .. الخاتم السحري .. أن خاتمك هو المزيف)

وبينما كان يمر أحد أصدقاء والدهم الأعزاء بجوار المنزل سمع شجارهم ، فذهب إليهم ، وعرف سبب الشجار فأخذ يفكر .. ويفكر .. حتى عرف السبب الذي من اجله وزع الأب الخواتم الثلاثة على أبنائه .. فقال لهم : يا أعزائي .. ينبغي علينا أن نفكر في القوة السحرية للخاتم الحقيقي ، إنها تجعل صاحب الخاتم محبوبا ويعيش سعيدا بين الناس .. والآن انتم تتشاجرون ، فكيف يمكن لأحدكم أن يكون معه الخاتم السحري .. فإذا كان أحدكم يلبس الخاتم الحقيقي فإن الأخوين الآخرين ينبغي عليهما أن يحباه وربما لا أحد منكم يلبس الخاتم الحقيقي ، ولعله قد فقد من أبيكم .

ووقف الاخوة الثلاثة مندهشين لا يقولون شيئا ، وتابع الرجل العجوز كلامه ! ! ولكنني أعرف والدكم جيدا فقد كان من أعز أصدقائي وأعلم أنه يحبكم جميعا ، وينبغي علينا أن نفكر لماذا أعطى لكل واحد منك خاتما ؟

هذا هو السبب ! ...

وقد كانت العادة المتبعة أن يعطي الأب الخاتم لأعز ابن عنده .. ولكن أباكم كان يحبكم جميعا ، فأعطى لكل واحد منكم خاتما يشبه الخاتم السحري ، وقد عرف والدكم أن قوة الخاتم السحري ليست في الخاتم نفسه ، وإنما في أفكار ومعاملة

صـاحبه للناس .. فعندما يفكر صاحب الخاتم فيه .. يتذكر كيف كان والده محبوبا أو كيف كان يحبه .. هذا الحب هو الذي يجعل صاحب الخاتم يقوم بكل ما يحببه الناس مادام فيه خيرهم .

(.. انظروا إلـي الخـواتم الـثلاثة إنهـا متشـابهة .. وهذا يعني أن أباكم يحبكم جميعا ، وكلما تذكر كـل واحـد منكم ذلـك الحب ، عرف الطريق الصحيح إلي السعادة ..) .

وخجـل الاخوة من أنفسهم ، وشكروا صديق والدهم على كلامه الحكيم . وعاش هـؤلاء الاخوة بعد ذلك في سعادة وحب .. وعندما تقدم بهم السن ، صنع كل واحد منهم مجموعة من الخواتم تشابه الخاتم الذي يلبسه ، وأعطاها لأولاده .

وعـرف كـل واحد منهم القوة السحرية للخاتم هي في الحب والإيمان وليست في الذهب والماس .. وبتلك الطريقة استطاع الأبناء أن يتقاسموا الحب والإيمان .

● *نشرت هذه القصة في (قصص للجيب لطلبة) عام ١٩٥٨م ص٥. ●

لا تصدق مكاراً

- في يوم حار من أيام الصيف .. اشتد العطش بالثعلب .. بحث في كل مكان عن الماء ، ولكنه لم يعثر عليه .

تسلل بهدوء إلي مزرعة وجدها أمامه ، ولكن الكلب رآه . فترك المزرعة وهرب بسرعة ..وأخير تذكر بئراً قديما في وسط حقل قريب من هذه المزرعة .. فأسرع إلي هذا البئر . وجد فيه ماء ، ولكنه بعيد عنه .

حاول الوصول إلي الماء عدة مرات .. وأخيراً سقط في البئر . فزع الثعلب لذلك لأنه لا يعرف العوم . ولكنه وجد قاع البئر قريب جدا من رجليه . اطمأن لذلك وشرب حتى ارتوي . أراد أن يخرج من البئر ، فوقف على رجليه في الماء ، وحاول أن يقفز فلم يستطع لأن جدار البئر كان مرتفعا . وأصبح مسجونا وفي صباح اليوم التالي جاءت ماعز إلي البئر ، فرأت الثعلب فيه .. فقالت له : هل الماء جميل ؟ فقال الثعلب : إنه جميل جداً .. لذلك فإنني أستحم فيه كما ترين . وعندئذ قفزت الماعز إلي الماء . ولكن ما إن غطست في الماء ، حتى تسلق الثعلب ظهرها ، واستعان بقرنها الطويل ، وقفز إلي الخارج . والتفت إلي الماعز قائلاً : شكرا لك يا سيدتي أتمنى لك حماما جميلا ! ! وعندئذ أدركت الماعز أنها كانت غبية ، لأنها صدقت الثعلب الماكر .وصممت على ألا تصدق بعد اليوم .. من عرف بالمكر والأنانية

* نشرت هذه القصة في (قصص للجيب لطلبة) عام ١٩٥٩م ص٤.

الفشار الصغير

- كمال .. اشتهر بين أسرته بأنه ولد فشار . دائما يكبر الأشياء الصغيرة .. فمثلاً إذا قتل عصفورين ، فإنه يتفاخر ويقول : لقد قتلت عشرين عصفوراً .

وذات يوم جاء كمال إلي والده في المنزل وقال له : لقد رأيت فاراً كبيراً .. حجمه مثل الثور تماما .. فصاح والده مندهشا : لا يمكن أن يكون حجمه مثل الثور

فقال كمال : إنه كالثور تماما ..

وعندئذ لم يتكلم الأب . وفي اليوم التالي أخذ الأب ابنه كمال في رحلة سيرا على الأقدام .. وأثناء الطريق اعترضهما نهر .. فقال كمال لأبيه : ما أسم هذا النهر؟ فقال الأب : إنه نهر خطير .. وخاصة لمن يفشرون .. إن اسمه .. قاتل الفشارين تعالي يابني .. يجب أن نعوم لنعبر هذا النهر ..

فشحب لون كمال ، وارتجف .. لاحظ الأب ذلك فقال له : كيف حالك يا بني ما بك ؟

فقال الابن : كنت أفكر في الفأر ..

فقال الأب : حسنا .. لماذا كنت تفكر في الفأر ؟

قال كمال : أظن أن الفار كان حجمه .. مثل الخروف ..

فقال الأب : حسنا .. حسنا .. دعنا نتقدم في الماء ..

ودخل الاثنان في الماء .. واقتربا من مكان عميق . وعندئذ تملك الرعب قلب كمال .. فصرخ : أبي .. أبي .. أنقذني .. أنقذني .. إنني أغرق .. إنه ذلك الفأر أظن أن حجمه كان مثل حجم الأرنب ..

بدأ كمال يختنق ، ويغرق .. والماء وصل حتى رقبته .. ولكنه صرخ قائلاً :

أبي .. أبي .. إن الفأر .. كان حجمه مثل حجم فأر صغير جداً ..

وعندئذ اقترب الأب من ابنه ، وانتشله من الغرق وحمله فوق كتفه ، وعبر به النهر .

... ومنذ ذلك الوقت ، لم ينس كمال الدرس الذي علمه له والده .. وكان كلما حاول أن يفشر أو يتفاخر ، تذكر قصة الفأر والنهر .. الذي جعله ينطق بالحقيقة وأصبح كمال لا يفشر أبداً .

● *نشرت هذه القصة في (قصص للجيب لطلبة) عام ١٩٥٩م ص ٨.●

الحـق والبـاطل

- يحكـي أنه كان لامرأة ولدان أحدهما اسمه الحق والآخر اسمه الباطل. وكان الحق لا ينطق إلا بالصدق ، ولا يعمل إلا الخير . وأما الباطل فكان شريرا لا ينطق إلا كذبا . وقد توافي أبوهما وترك أمهما فقيرة معدمة . فلما شب الطفلان نصحتهما بـالانطلاق للبحث عن عيشهما وأخذ كل من الشابين حقيبة بها قليل من الطعام ثم ودعـا أمهمـا . ورحلا للبحث عن العيش وانطلقا في الغابة . فلما أقبل الليل جلسا بجـوار شـجرة كـبيرة ، واخـرجا حقيبتهما ، للأكل .. قال الباطل : ـ الا توافقني عـلى إن نـأكل شـيئا من الطعام الذي في حقيبتك إلي إن ينفذ ما فيها ثم نأكل بعد ذلك الذي في حقيبتي ؟

وسـر الحـق لهـذا القـول ، وأكـلا ما في حقيبته في تلك الليلة وفي اليوم التالي. حـتى انـتهي الطعـام مـن الحـق ، ثم جلسا تحت الشجرة ليتناولا العشاء . فطلب الحـق مـن أخـيه إن يعطيه جزءا من الطعام . ولكن الباطل رفض وقال : ـ كلا إن الطعام طعامي ، ولا أستطيع لك منه شيئا .. فقال الحق : ولكنك أكلت مما كان في حقيبتي ؟

فقـال الـباطل : جمـيل إن تكـون رقـيقا مـع الـناس ولكـن الحماقـة إن تدعهـم يغتصـبون طعـامك أمام عينيك ، فعليك إذن إن تتحمل نتائج جهلك ، وأجلس هنا حتى تهلك جوعا .. فقال الحق :

ـ هـذا حسـن .. إن اسمك الباطل وأنت باطل بطبيعتك هكذا وهكذا ستكون طالما أنت حي ترزق فغضب الباطل وهجم على الحق ففقأ عينيه وقال ساخرا : والآن هل تستطيع إن تميز بين الحق والباطل ؟

ثم انصرف مبتعدا عن أخيه

مسكين الحـق ! لقـد فقد نور عينيه فطفق يتحسس طريقه بين الأشجار إلي إن بلـغ جـزع شـجرة ضـخمة . فتسـلقها . وهـو يعتزم البقاء بين أغصانها ريثما يأتي النهار .. خشية إن تفتك به وحوش الغابة الضارية ..

وإنـه كذلك جالس فوق الشجرة . إذ به يسمع أصواتا تحت الشجرة . وما لبث إن عرف من الأصوات إن دبا وذئبا وثعلب وأرنبا بريا قد جاءوا ليقضوا المساء تحت الشـجرة .. وبعـد قلـيل بـدأت الحيوانات تتناول طعامها ، وتضحك ولما فرغت من تناول الطعام قال الثعلب :ـ لماذا لا نقطع الوقت بذكر بعض القصص ؟

فوافق الآخرون على ذلك .. وقال الدب ، وكان ملك الجماعة :

ـ إن عين ملك هذه البلاد مصابتان بضعف شديد .. فهو لا يستطيع إن يبصر إلا إلـي مسـافات قصـيرة ، ولكـن لو جاء إلي شجرة الليمون التي نجلس تحتها عند الفجر وأخذ قليلا من نداها ودعك بها عينيه لاستعاد قوة بصره ..

فقـال الذئب : ـ هذا صحيح .. إن لهذا الملك ابنة خرساء وصماء ولكن لو عرف مـا أعـرف إن يحقـق لها الشفاء ، ففي السنة الماضية سقطت من فم ابنة الملك لقمة كـبيرة مـن الخـبز فجـاءت ضـفدعة كبيرة وأكلتها ، فلو أن الملك نبش أرض الغرفة لوجـد الضفدعة ولقمة الخبز ما زالت ملتصقة بحلقها ولو شقا حلق الضفدعة واخذوا

لقمة العيش وأعطوها للأميرة لتأكله لسمعت وتكلمت .. فقال الثعلب (هذا صحيح .. هلموا بنا ننصرف فقد تقدم الليل) هذا بديع ولكن لو عرف الملك ما أعرف لما أزعجته حالة الماء في قصره . لأن تحت الحجرة الكبيرة الموجودة في ساحة قصره ينبوع ماء زلال لا يوجد له مثيل في هذه البلاد ..

فقال الأرنب : إن بستان الملك من أحسن بساتين العالم ، وكان لا يثمر غير تفاحة واحدة في السنة لأن حوله سلسلة ذهبية ثقيلة فإذا رفعت هذه السلسلة أثمر الشجر وأحسن الثمر ..

فقال الثعلب : ـ هذا صحيح .. هلموا بنا فقد أوشك النهار يبزغ ..

وسمع الحق الحديث كله ، ونام بعد انصراف الحيوانات ، فلما بدأت الطيور تغرد استيقظ من فوق واخذ قليلا من الندي المتجمع فوق أوراق الشجرة ودعك عينه فرد بصره .. وذهب الحق إلي قصر الملك ، وتوسل إليهم إن يلحقوه كبيرا حاول إن بأي عمل فأجابوه إلي طلبه ..

وذات يوم نزل الملك إلي بستانه وبعد أن تجول فيه قليلا طلب إلي الخدم إن يأتوه بكوب ماء .. فقد كان اليوم حارا فلما جئ له بالكوب ندامه لأن الماء كان مختلطا بالطين والقاذورات ..

قال الملك : لا أظن إن في الملكة أي رجل يشرب ماء قذرا مثل هذا الماء أنني لم أدخر وسعا لتصفيته .

فقال الحق وقد سمع قول الملك .. هذا صحيح يا مولاي ، ولكن إذا سمحتم جلالتكم بالاستعانة ببعض الرجال في رفع الحجر الكبير الموجود بساحة القصر فستحصلون جلالتكم على ماء كثير زلال ..

وقبل الملك . وإن هي إلا دقائق حتى تفجر ينبوع الماء الرائق

وفي يوم آخر نزل الملك إلي البستان ليتريض فابصر صقرا كبيرا حاول إن يخطف دجاجة ، فرفع الملك بندقية واطلقها على الصقر ولكن اخطأه فقال متذمرا إلا يوجد من يصف لي دواء ليشفي عيني فأنني اعتقد أنني سأصاب بالعمي عما قريب .

فقال الحق : أنا أستطيع إن أدلك على هذا الدواء يا مولاي واخبر الملك بما فعله حتى استرد بصره ، وفي فجر اليوم التالي ذهب الملك إلي شجرة الليمون وأخذ قليلا من الندي ، ودلك به عينيه فارتدت إليه بصره .. ومنذ ذلك الحين أحب الملك الحق ، واتخذ منه وصيفا لا يفارقه .

وبينما كانا يسيران في البستان ذات مرة قال الملك : لست أفهم لماذا لا يثمر بستاني غير تفاحة واحدة في العام مع أني أعني به أكثر مما يعتني الناس جميعا ببساتينهم ..

فقال الحق : لو إن مولاي أصدر أمرا بالحفر حول الحديقة ورفع السلسلة الثقيلة المدفونة في الطين لحملت الأشجار ثمارا كثيرة ، ورفعت السلسلة من مكانها ، وفي العام التالي كادت غصون الأشجار تتحطم من ثقل الثمار التي أنتجتها الأشجار وأصبح الحق رجلا غنينا يتمتع بحب الملك وفي يوم من الأيام كان الملك والحق يسيران معا ويتكلمان عندما أقبلت ابنة الملك فقال الملك بحزن :

- أليس من المؤلم إن تكون هذه الأميرة الجميلة خرساء وصماء ؟

- نعم يا مولاي .. ولكن لها دواء .. وما إن سمع الملك بقصه الضفدعه حتى أمر رجاله بإخراجها وأعطوا الأميرة لقمة العيش التي أخرجوها من حلق الضفدعة فما كادت تأكلها حتى استردت سمعها وقدرتها على الكلام . وسر الملك سرورا عظيما ووهب الحق نصف مملكته وزوجه من الأميرة الحسناء وفي يوم الزفاف . جاء شاب متسول . كان يرتدي اسحالا بالية . مصفر الوجه بادي الهزال . وسأل الخدم احسانا . وعرف الحق السائل فقد كان أخوه الباطل وسأل الحق أخاه : ألا تعرفني ؟ فقال الباطل : ومتي كان المتسول مثلي إن يطمع في معرفة سيد عظيم مثلك ؟ فقال الباطل : ولكنك رأيتني من قبل . ألا تذكر أنك فقأت عيني منذ عام واحد . وقلت لك يومئذ أن أسمك الباطل وأنت باطل بطبيعتك . واعطي لأخيه طعاما وشرابا والبسه ملابس نظيفة .. ثم قال له : تمنيت إن تذهب إلي شجرة الليمون التي كن عندها في العام الماضي فقد تسمع شيئا يفيدك إن كنت حسن الحظ . وذهب الباطل إلي الشجرة وجاءت الحيوانات وقال الثعلب : ألا نقطع الوقت بذكر بعض القصص . فقال الدب : لقد سمع أحد الناس حديثا في المرة السابقة فخير لنا إن نمسك ألسنتنا عما نعرف . ووافق الآخرون .. ثم انصرفوا .. وهكذا فشل الباطل .. ونجح الحق .

● قصة (الحق والباطل) نشرته في مجلة قصص الطلبة ص ٣-٦ عام ١٩٥١ ●

الثعلب الشرير

..كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان يوجد ثعلب وجمل ، وكانا صديقين حميمين ، وذات يوم قال الثعلب للجمل :

ـ أنـي أعرف حقل قصب سكر في الشاطئ الآخر .. هلا حملتني لاريك مكان الحقل وسوف تسر من أكل القصب ووافق الجمل ، وحمل الثعلب على ظهره لأن الثعلب لا يعرف السباحة .. وعندما وصلوا إلي الشاطئ ذهب الجمل ليأكل القصب وجرى الثعلب إلي المزرعة واخذ يأكل البط والدجاج حتى شبع قبل الجمل ، فدار حول الحقل واخذ يصيح بكل قوته وسمع الصوت الفلاحين ، فجروا مسرعين إلي مكان الثعلب ، ولكن الثعلب اختفي بين أعواد القصب ووجدوا أمامهم الجمل فأخذوا يضربونه بالعصي ضربا مبرحا حتى كاد المسكين إن يموت ، ولما ذهب الفلاحون ظهر الثعلب من بين أعواد القصب .. وقال للجمل :

ـ هيا بنا نرجع .. فقال الجمل : ـ حسنا اقفز إلي ظهري وقفز الثعلب إلي ظهر الجمل الذي نزل البحيرة واخذ يعوم فيها حتى جاء عند منتصف البحيرة فقال الجمل للثعلب :ـ لقد عاملتني بسوء يا صديقي .. فبعد إن انتهيت من أكلك صنعت صوتا مزعجا جعل الفلاحين يحضرون ويضربوني حتى كدت إن أموت قبل إن أكل من القصب .. لماذا صنعت هذه الأصوات ؟

فقال الثعلب

- لا أعرف .. فهذه عادة أفعلها بعد إن آكل أي آكل .. فهي كالغناء تماما .

فقال الجمل .. اريد إن أتقلب على ظهري ..

فقال الثعلب بخوف .. من فضلك إعمل معروف .. لا تتقلب ..

فقال الجمل : - لماذا لا تريد إن أتقلب ؟

فقال الثعلب لأني لا أعرف أعوم ..

فقال الجمل :- هذه عادة عندي دائما أفعلها فهي كالغناء أقوم بها بعد إن آكل وهذه العادة هي إن أتقلب على ظهري . وهنا أنقلب الجمل وسقط الثعلب الخبيث في الماء ومات غريقا جزاء ما عمله من شر . ونجا الجمل وسبح حتى وصل البر سالما وآمن بالحكمة التي تقول ..

لا تعمل المعروف في غير أهله .. وإن من يعمل شرا يجده شرا .

---

*قصة (الثعلب الشرير) نشرت في مجلة قصص للطلبة ص ٧ عام ١٩٥١م

حيلة بارعة

كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك ذات جاه وسلطان وفى ذلك الوقت كانت الحرب مشتعلة بينه وبين أهل بلسنين وأراد أن يأخذ مدينة جوبا ولكن المدينة كانت قريبة من البحر ومبنية على تل مرتفع وحول المدينة سور مرتفع من الحجر الصلد ، وحاول جنود الملك مرارا إن يستولوا على المدينة ولكنهم كانوا يرجعون إلي الملك ويقولون إن سور المدينة قوي ومرتفع جدا ولا نستطيع إن نستولي على هذه المدينة ، وفى يوم من الأيام جاء إلي الملك شاب قوي وقال :

ـ يا ملكي .. إن عندي حيلة بارعة ، هلا أعطيتني بعضا من الجنود لكي نحاول دخول مدينة جوبا ..

وفى اليوم التالي جاء رسول من الشاب فقال :

ـ مولاي .. لقد استولينا على مدينة جوبا ، ونحن في انتظارك بالمدينة .. ودهش الملك كثيرا عندما علم إن المدينة التي لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها مرارا يستولي عليها هذا الشاب في يوم واحد .. إن هذا لعجيب . واجتمع الحرس وتقدموا الملك ذاهبين إلي مدينة جوبا .. وكانت الأعلام ترفرف على أسوار المدينة التي احتلها المصريون ، ودخل الملك المدينة في احتفال كبير وفى آخر اليوم جلس مع الشاب وقال له : حدثني يا بطل كيف استوليت على هذه المدينة بهذه السهولة ؟

فقال الشاب : - إنها يا مولاي حيلة بسيطة فبعد إن أخذت الجنود . اخترت بعضهم واشتريت جمالا وحميرا ووضعت عليها زلع كبيرة بداخلها جنود ومغطاة بقطع من الحرير وعندما اقتربنا من الباب تصدي إلي الجنود .. وقال :

- ماذا تريد ؟ وما هذه الأشياء التي معك ؟ وماذا بداخل هذه الزلع ؟

- فقلت :- إني تاجر واريد إن أبيع حريري وبضاعتي في سوق المدينة ..

فقال رئيس الحرس :- وأين الحرير ؟ وماذا بداخل هذه الزلع ؟

فقلت :- إن بداخل الزلع نبيذ . فهلا أدخلتني إلي المدينة لاريك الحرير وأعطيك تشرب ما تشاء من النبيذ . فالشمس الآن محرقة والجمال والحمير سوف يموتون من شدة التعب ..

وصاح رئيس الحرس بالجنود الآخرين ففتحوا له الباب .. ودخلت ومعي جمالي وبضاعتي . وأخذت أغدق عليهم الخمر حتى ثملوا وناموا .. وحينئذ أخرجت جنودي وهجمنا على الحرس وقتلناهم .. ثم فتحنا الباب للجنود الأخرى التي كانت منتظرة خارج المدينة ، وهذه المدينة الآن بين يديك ، فأفعل بها ما تشاء .

وسر الملك بالشاب وأعجب به فزوجه ابنته الجميلة وجعله القائد الأعلى لجيشه لبسالته وشجاعته ودهائه .

*قصة (حيلة بارعة) نشرته في مجلة (قصص الطلبة) ص٨ عام ١٩٥١م

الشـهيـد

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءعند ربهم يرزقون﴾
قرآن كريم

ـ خـرج نبـيل منصـور مـن منزله بعد أن ودع أمه والتقي بالثائرين من الجماهير الشـعبية . بعـد أن قـتل الغادرون شهيد بور سعيد الأول . وبدأت المعركة الطاحنة بين الجماهير الملتهبة وبين عدوها الغاضب . وأخذت تشق طريقها في جنون وحمية إلي معسكر (الجولف كورس) وهو وكر من أوكار الاستعمار في المدينة ، وبدأ الرصاص يـنهمر كالسـيل الجـارف مـن أفـواه المدافـع والبنادق الإنجليزية إلي صدور الأبطال الـبررة مـن أبـناء مصـر إلي صدور المناضلين من أبناء الشعب الأبي ورأي نبيل منظر الدماء الطاهرة وهي تنساب مدراراً على الأرض فحز ذلك في نفسه ، وذهب إلي أمه وقال لها :

ـ أمـاه كـيف نحـيا ، وكيف نعيش ، ورصاص هؤلاء المجرمين الجبابرة يخترق صدور آبائنا وإخواننا بهذه الغلظة وهذه الوحشية ، لا بد من التضحية يا أماه ..

الأم : ـ كـيف تقـدم يـا بني على هذه التضحية الغالية وليس في الدنيا سواك ! أيهون عليك أن تخلف لي الشقاء والحسرة إلي آخر الحياة !

- أماه إن كنت ستذرفين دمعة على لفقدي وموتي . فأولى بك أن تذرفي هذه الدموع من أجل مصر ، وطننا العزيز ، وأمنا الحنون . ومن أجل هذه الآلاف من الشعب التي تتحرق جوعا وفقرا وعريا بينما هؤلاء الكلاب المستعمرين ينعمون بخيرنا ويعيشون على كدنا وعرقنا ...

وفي سكون الليل تسلل نبيل من تحت الأسلاك الشائكة . وزحف مدة حتى اقترب من الخيام وخلع قميصه وغمسه في البترول الذي وجده أمامه ثم أخرج الكبريت وأشعل في قميصه . وطفق يشعل الخيام الواحدة تلو الأخرى وعاد البطل الصغير بعد أن أشعل النيران بالمعسكر وارتفعت السنة اللهب إلي عنان السماء ، عاد ليستقبل في صدره رصاص الجبناء ، ورصاص هؤلاء الجبابرة السفاكين ، وكتب البطل الصغير بدمه آية من آيات الجهاد والتضحية لتكون آية لمن بعده ولتكون رمزا لا يفني للشعب الذي آلي على نفسه أن يتحرر ..

وذهب نبيل منصور المكافح الصغير من الدنيا ليبقي في نفوسنا وفى التاريخ إلي الأبد رمزا للتضحية الحقة ، ورمزا لاجرام هؤلاء الكلاب المحتلين الغاصبين .

● *نشرت هذه القصة (الشهيد) في مجلة صوت الطلبة ص ٢١ سنة ١٩٥٠م .

التضحية

في هذا العام كانت قلوب الناس مفعمة بالحقد والكراهية لذلك الكابوس الجاثم فوق صدورهم . وذلك الظلام المخيم فوقهم . وسياط الظلم والاستعمار المسلطة عليهم كان الملك يلعب بالشعب ويعامله كمعاملة الأطفال للعبهم الصناعية . ويستولي على كل ما تقع عليه عيناه من الأشياء الثمينة وراح من ذهنه وجود الخالق البارئ الجبار المتكبر أراد أن يستعلي على القوي القادر . ولكن الله لم يمهله فأرسل إليه منقذ الشعب (محمد نجيب) فأوقفه عند حده . وسبحان الله يعز من يشاء ويزل من يشاء وهو على كل شئ قدير ..

كان (سعيد) ملازما بالجيش وقد خطب فتاة جميلة . وتسمي أنصاف من أسرة عريقة محافظة على التقاليد . ووالد الفتاة . كهل في الخمسين يشغل منصبا محترما في المجتمع . وذات يوم اتفق والد الفتاة مع صهره على أن يكون الزفاف تباعا يوم ٢٢يوليو . ومرت الأيام تباعا . وحان اليوم المنشود واستعدت العروس . وحضر عدد غير قليل من الأقارب والأصدقاء مهنئين فرحين ..

وفي ذلك الوقت كان (سعيد) في منزله بمفرده . وقد ارتدي ملابسه وتطيب بأحسن الروائح . ونظر إلي المرآة

وقال لنفسه : ـ إن هذا اليوم لهو أسعد أيام حياتي ، وسوف أزف إلي حبيبتي إنصـاف .. وفجـأة اضـطرب قلبه ، وخفق لسماع جرس التليفون الذي رن مدويا في الحجرة ، ونظر إلي التليفون مبهوتا وقال لنفسه :ـ من الذي يطلبني الآن ؟

وتملكته الهواجس والخواطر ، ولكنه اقترب من الآلة ورفعها ، فإذا بصوت حاد يتكـلم وأصـغي باهـتمام وقـد علا وجهـه شحوب وصفرة ، حتي يخيل للمرء أنه من الأموات ، وانتهت المكالمة و(سعيد) واقف مشدوها مضطربا ، وأخير عاد إلي حالته الأولي ، ونظر إلي المرآة وأعدل من شأنه ثم خرج ..

دقت الساعة معلنة الثانية عشر مساء وكانت عيون الحاضرين معلقة بها وقلوبهم مـرتجفة واجلـة ، والأسـئلة تـتردد عـلى كـل لسـان ، ولكـن هل من جواب يشفي غليلهم ؟

أيـن سعيد الآن ؟ ولماذا لم يحضر ؟ وما الذي حدث ؟ .. ياله من حادث طريف فتي يترك عروسه في ليلة زفافها ! !

وكـان والد سعيد أشدهم حنقا عليه وأخذ يتوعد قائلا : ـ سوف أحطم جمجمته هذا الشقي ، كيف يحدث هذا ؟ أيترك الناس هكذا ؟ ماذا يقولون ؟ .. لعله يأتي الآن ..

وكنـت تسمع القلوب تدق مع دقات الساعة التي أعلنت الثانية صباحا ولكن لم يعـد سـعيد بعـد ، وتملكتهم جميعا الحيرة ، ولكن الناس غادروا المكان الواحد تلو الآخـر ، وبقيـت العـروس وأهـلها ، وأخـذت تـبكي بكـاء مرا وتندب سوء حظها العـــاثر ..

وبدت تباشير الصباح . وأخذت العصافير في تغريدها الجميل .. وبدأت الحركة تدب في أنحاء المدينة . وسطعت الشمس حتى اقتربت من كبد السماء . ودقت الساعة العاشرة والنصف ولم تجد أنصاف ما ترفه به عن نفسها ففتحت الراديو (. وسطع في ذلك الظلام المطبق نور قوي . تسلط على الطغاة المارقين فبهرهم وخطف أبصارهم وها هو محمد نجيب القائد المغوار وأعظم شخصية في الشرق لم تظهر من قبل . ولا من بعد . يحمل مشعل الحرية ينير به الطريق الوعر المملوء بالدسائس والمؤامرات وخلفه جيش البلاد الجسور . يؤيده شعب الوادي الكريم تحت رعاية الله في ظل الدستور . فإلي الأمام يا بطلنا المنقذ . إلي الأمام حيث الحرية والكرامة لتعيش أحرارا وأسيادا لانفسنا . إلي الأمام يا بطلنا المغوار . ونحن وراءك نشد أزرك ، ونقوي عزيمتك وفقك الله إلي ما هو خير البلاد . ودوي صوت الحرية والإخاء . وزالت دولة الظلم والطغيان . فسبحان الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شئ قدير . والسلام عليكم) .. استمعتم أيها السادة إلي حديث الأستاذ على بركات يبارك به حركة الجيش . المباركة ضد الطغاة الآثمين .. وهنا صاحت (أنصاف) : ـ ماما .. بابا . هل تعلمون أين سعيد ؟

ونظر إليها والدها في دهشة واستغراب وقال : كلا .. ولكن لماذا تسألين الآن ؟ فأجابت : إني أعرف مكانه . إنه الآن في خدمة فتاة أخرى أفضل مني نسبا وشرفا يخدمها بروحه وعقله . وصاح الأب بغلظة . ومن هي هذه الفتاة التي تتحدثين عنها ؟ ياله من فاسد .. ـ لا تغضب يا أبي . إنها مصر .. مصر الظافرة التي قاست وظلت ردحا من الزمن تحت نير الظلم والاستعباد والآن فكت قيودها بمعونة أشبالها الأخيار يتزعمهم البطل محمد نجيب ولا شك في أن سعيد يساهم في هذه الحركة المباركة . وقد ضحي بسعادته وهنائه في سبيل أجمل وأعرق الفتيات نسبا وحسبا ، إنها مصر منبع الوطنية والرجولة ..

● نشرت هذه القصة (التضحية) في مجلة صوت الطلبة ص ١٣، ١٤ عام ١٩٥٠ ●

من مؤلفات فتحى الإبيارى

مجموعات قصصية

العنوان	الناشر	الطبعة	السنة
بلا نهاية ..	دار نشر الثقافة بالاسكندرية		١٩٦٦
قصص قصيرة جداً ..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية		١٩٧٢
ترنيمة حب ..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية		١٩٧٣
قصة دافيد كوبر فيلد	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	ط أولى	١٩٦١
		ط. ثانية	١٩٧٣
قلب الحب	(دار الشعب)		١٩٧٧
كلمة حلوة	هيئة الكتاب		١٩٧٨
رحلة صيد قصيرة	هيئة الكتاب		١٩٨٠
آه يا بلد	مكتبة مدبولى		١٩٨٩
رحلة حب	مطبوعات المستقبل		١٩٩٢
عليه العوض	عالم القصة		١٩٩٣
مؤلفات فتحى الأبيارى (جـ١) قصص قصيرة جدا جـ١ ترنيمة حب	هيئة الكتاب		١٩٩٢
مؤلفات فتحى الأبيارى (جـ٢) رحلة صيد قصيرة آه يا بلد عليه العوض	هيئة الكتاب		١٩٩٣

دراسات نقدية وأدبية

● محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	(ط ١) دار المعارف	١٩٦١
● فن القصة عند تيمور	(ط ١) دار المعارف	١٩٦٤
● عالم تيمور القصصى	(ط٢) هيئة الكتاب	١٩٧٧
● عالم تيمور القصصى	(ط٣) هيئة الكتاب	١٩٩٤
● الجنس والواقعية فى القصة	هيئة الكتاب	١٩٦٦
● أدباؤنا والحب	(ط١) دار الشروق	١٩٧٣
	(ط٢) دار المعارف	١٩٩٥
● نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب	١٩٧١
● عشرة آلاف خطوة مع الحكيم	هيئة الكتاب	١٩٨٧
● الأم فى الأدب	(ط١) الدار المصرية	١٩٦٦
● الأم حكايات وقصص	(ط٢) كتاب أخبار اليوم	١٩٧٠
● الأم حكايات وقصص	(ط٣) هيئة الكتاب	١٩٩١
● الأم حكايات وقصص	(ط٤) هيئة الكتاب	١٩٩٤

روايات

● رحلة خارج اللعبة	مطبوعات عالم القصة (ط١)	١٩٧١
● رحلة خارج اللعبة	هيئة الكتاب (ط٢)	١٩٨٢
● رحلة خارج اللعبة (الترجمة الإنجليزية)	هيئة الكتاب	١٩٩٢
● أرنب كالآخرين	(تحت الطبع)	
● رحلات حب سرية	مجلة الثقافة	١٩٧٨
● رحلة ٤٦ (رحلة حب)	مطبوعات المستقبل	١٩٩٢
● ميريلاند	تحت الطبع	
● الديك	تحت الطبع	

دراسات صحفية وسياسية

● الرأى العام والمخطط الصهيونى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٩٦٩
● الصحافة الاقليمية والتنظيم السياسى	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٦٩
● القهيلا	هيئة الكتاب	١٩٧٠
● الصهيونية	دار المعارف (كتابك)	١٩٧٧
● اكتوبر والـ ١٠٠ يوم من أجل السلام	الاستعلامات	١٩٧٦
● صحافتنا الاقليمية والاسكندرية	هيئة الكتاب	١٩٧٦
● صحافة المستقبل والتنظيم السياسى	دار المعرفة بالاسكندرية	١٩٨٥
● الإعلام والرأى العام والقهيلا	دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية	١٩٨٥
● الإعلام الدولى والدعاية	(ط١) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥
	(ط٢) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٦
● فن الدعاية	هيئة الكتاب	١٩٨٩
● نحو إعلام دولى جديد	هيئة الكتاب	١٩٩٠

كتب فى الفكر الإسلامى

● السيدة نفيسة (رضى الله عنها)	منتصر للنشر	١٩٨٩
● فى ضيافة الرحمن	دارالصفوة	١٩٩٢
● موسوعة «المحمديات»	(جـ١) هيئة الكتاب	١٩٩٤
	(جـ٢) هيئة الكتاب	١٩٩٥

(جـ٣) هيئة الكتاب ١٩٩٥

جـ (٤) ـ (جـ ٥) ١٩٩٨ ١٩٩٦

- المرأة .. فى القرآن والإسلام تحت الطبع
- محمد ﷺ نبع الحب تحت الطبع
- محمد ﷺ هيئة قصور الثقافة ط ١ ١٩٩٧ ط ٢ ١٩٩٨ ط ٣ ٢٠٠٢

كتب عن المؤلف

- فتحى الأبيارى (رؤية نقدية) مطبوعات عالم القصة ١٩٨٩
- فتحى الأبيارى (الحب. المرأة. الحياة) ملاك ميخائيل ١٩٩٦

. فتحي الابيارى

رائد الصحافة الإقليمية .. (تسجيل للبرنامج التليفزيوني رواد) بالقناة [illegible]

. فتحي الابيارى

الفكرة المتدفقة .. [illegible] (الثقافة الجديدة) هيئة قصور الثقافة ١٩٩٨

. فتحي الابياري

(الفطرة .. والإصرار) محمد محمود عبد الرازق مطبوعات نادي القصة بالإسكندرية ٢٠٠٠

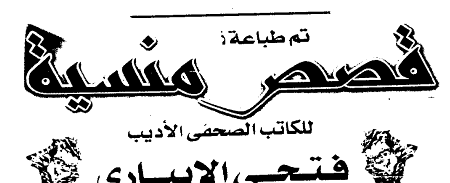
رحلات

- رحلة الأحلام فى عالم الأساطير .... **(طوكيو)**
- رحلة الأحلام فى عالم العجائب .... **(تايلاند)**
- رحلة الأحلام فى عالم الغرائب .... **(هونج كونج)**
- رحلة فوق الأمواج .... **(موانى البحر المتوسط)**
- أوراق طائرة فى أوروبا الحائرة .... **(عواصم أوروبا)**

‹محتويات قصص منسيه›

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٨٩٨٢

تم طباعة:



للكاتب الصحفى الأديب

فتحــى الإبيــارى

بالوكالة المصرية للدعاية والإعلان إخناتون

غرب القشلاق - العباسية ت: ٦٨٥٢١٩٢